12

أرشيفو

ARCHIVO

نشـرة تهتم بموضوعات الأرشـيف تصدر عن
مركـــز أوال للدراســـات والتوثيـــق
العدد 12 - أيلول/ سبتمبر 2019

أرشيفو

ARCHIVO

نشرة فصلية مختصة بموضوعات الأرشيف تصدر عن

مركز أوال للدراسات والتوثيق

العدد 12 - أيلول/ سبتمبر 2019

نشرة فصلية تصدر عن مركز أوال للدراسات والتوثيق، تحت عنوان (أرشيفو). تعنى بقضايا الأرشيف، تنطلق من البحرين إلى الخليج إلى العالم العربي وخارجه.

تغطي النشرة المجالات التالية: المشكلات التي تواجه الأرشيف، طرق حفظ الأرشيف، التعريف بأصحاب الأرشيف الأهلي ومراكز الأرشيف الرسمي، التعريف بالمدونات والمواقع الإلكترونية المهتمة بالوثائق والأرشيف، ترجمة المقالات المنشورة بلغات أجنبية، مراجعة الكتب المتعلقة بالأرشيف ومتابعة الأنشطة والفعاليات ذات العلاقة بالذاكرة والأرشيف.

عنوان النشرة يشير إلى أن كلمة (أرشيف Archives) متقاربة النطق والكتابة والجذر في أغلب لغات العالم، وفي اللغة البرتغالية تنطق هكذا (أرشيفو Arquivo).

رئيس التحرير : د. علي الديري

هيئة التحرير : تغريد الزناتي ـ فاطمة شاهين ـ غنى مونس

سكرتيرة التحرير : نور بكري

رابط مدونة أرشيفو:

awalcentre.com/Archivo

مركز أوال للدراسات والتوثيق

AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION

info@awalcentre.com | www.awalcentre.com

awalcentre

الفهرس

1 الافتتاحية 5

تاج الأرشيف 5

2 أمناء الذاكرة 9

الأرشيف العثماني يعيد قراءة التاريخ العربي 9

3 ديوان الذاكرة 17

المكتبة الوطنية في لبنان: بيت الهويات المتعددة 17

4 ثقافة أرشيفية 25

الأرشيف السحابي: الثورة التقنية الثالثة 25

المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية 32

5 وثيقة وحكاية 37

حكاية «شكسبير» لورنس الكويت 37

6 | ذاكرة الصورة 43
شارع الحمرا: الحبّ باقٍ هنا 43

7 | كشكول 49
أرشيف الصورة في قرية الدير 49
كيف تجعل جدّتك مجرمة حرب؟ 54

8 | متابعات 59

الافتتاحية

تاج الأرشيف

رئيس التحرير

في الحلقة الأخيرة من مسلسل "صراع العروش" الشَّهير، يعقد ممثلو الممالك السبع المتصارعة مجلسًا لاختيار حاكم جديد بالعرش الذي أفنوا بعضهم بعضًا للاستفراد به. في مشهد مؤثر، يخطب فيهم القزم الحكيم تيريون لانستر الذي شهد مصارع الملوك وصراعاتهم: "إنها القصص.. لا شيء في العالم أقوى من قصَّة جيّدة. لا يمكن لشيء أن يردعها، ولا يمكن لعدوّ أن يهزمها. ومن لديه قصَّة أفضل من بران المشلول؟ الفتى الَّذي سقط من قمّة برج ونجا، علم أنَّه لن يسير ثانية، فتعلَّم الطيران. إنه ذاكرتنا وحارس كلّ قصصنا".

من يملك ذاكرةً، قصّةً، أرشيفًا، تاريخًا، سيرةً، ينال شرعيَّة الحكمة التي تؤهّله للحكم. إنَّها تعطيه الأفضلية والشرعية، وتمكّن من يدافع عنه من أن يحاجج عن الأكثر جدارةً بالحكم.

امتلاك القصَّة الأجدر جعل القزم الحكيم تيريون لانستر ينتصر في حجاجه لبران المشلول على جميع الأصوات المعارضة. الشّلل الحقيقي هو ألا تملك ما كان يملكه بران؛ ذاكرة بصرها من حديد في رؤية الماضي والمستقبل. ذلك هو بصر الأرشيف. باستطاعته أن يُرينا ما حدث في الماضي وما يمكن أن يحدث في المستقبل، فيجعلنا حكماء، ويُمكّننا من القدرة على الحكم.

كانت قصص الأمم والحُكّام وما جرى عليهم الدرس الأوَّل لأبناء الملوك. نتذكَّر هنا كتاب "التيجان في ملوك حمير" لوهب بن منبه (34 - 114هـ)، الذي يعود أصل أبيه إلى يهود

اليمـن، وهـو واحـد مـن الَّذيـن أسـلموا باكـرًا. في اليمـن أقـدم التجـارب البشريـة وأعظـم قصـص الممالـك والتيجـان. نقـل لنـا وهـب الحكـم والمواعـظ مصاغـة في قصـص، وتمكَّـن بمـا يملكـه منهـا أن يكـون ملـكًا يتصـدّر علـماء السـير والتفسـير والتاريـخ. لا نتحـدَّث هنـا عـن صحَّـة مـا نقلـه أو عـن مصداقيّتـه، لكنَّنـا نتحـدث عـن قـوَّة تأثـيره واختراقـه بمـا توافـر لـه مـن قصـص.

الأرشـيف هـو المـادة الخـام للقصـص. القصّـة تملـك القـدرة عـلى هضـم الأرشـيف وتحويلـه إلى حكايـة لذيـذة. إنهـا قـدرة خطـيرة، لأنهـا قـد تكـون قاتلـة ومدمّـرة.

الممثل الإنكليزي إسحاق همبستد رايت (Isaac Hempstead Wright) في شخصية بران ستارك في مسلسل «صراع العروش»

أمناء الذاكرة

المؤرخ اللبناني الدكتور عبد الرحيم أبو حسين:
الأرشيف العثمانيّ يعيد قراءة التاريخ العربي في زمن السّلطنة

زينب الطحان

عند ضفاف البوسفور في إسطنبول، وفي قصر "جيراغان" الّذي شيّده السلطان عبد العزيز العثماني، كرّمت الجمعية التاريخية للدراسات التركية البروفيسور عبد الرحيم أبو حسين، مدير مركز الفنون والإنسانيات وأستاذ التاريخ العثماني في الجامعة الأميركية في بيروت. الجمعية التي تقوم بعد عملية تقييم طويلة على عدة مستويات، باختيار نخبة من الباحثين والمؤرخين في التاريخ التركي والعثماني، كان أبو حسين اللبناني الفلسطيني الوحيد الذي اختارته لينضمَّ إلى 34 مؤرخًا من كل أنحاء العالم، بعدما قدّم له الوزير عباءة شبيهة بعباءة السلطان سليم الأول.

يشهد للمؤرخ أبو حسين تعمّقه في أرشيف الإمبراطورية العثمانية، وكشفه العديد من المحطات الأساسية في تاريخها العريض في منطقتنا، في المشرق العربي، وتحديدًا في القرنين السادس والسابع عشر، ولكن هذا التخصّص لم يمنعه من الولوج أحيانًا إلى القرن التاسع عشر، وإلى حقبات مختلفة من قرون أخرى، لينشر العديد من الكتب التي أحدثت "خرقًا" مهمًا في أكثر من مسألة تاريخية بقيت لوقت طويل مغلقة ومجمعًا عليها.

تنوّع الدفاتر العثمانيّة

الأرشيف العثماني ليس كيانًا واحدًا متصلًا، يقول البروفيسور عبد الرحيم، والدولة التركية الحديثة تعتمد على هذا الأرشيف، وهو ينقسم وفق تصنيفات مختلفة، يتوزّع بناء عليها على مختلف المناطق، فالأرشيف العقاري مثلًا، المتعلّق بالأملاك، موجود في الأناضول، وأرشيف الأوقاف موجود في أنقرة. أما الأرشيف الإداري والسياسي، فغالبيته في إسطنبول في "دفلة باش باكنليك أرشيفي"، أي أرشيف رئاسة الوزراء. ويضيف: "هذا هو الأرشيف الذي أستخدمه، وهو يحتوي أنواعًا مختلفة من الوثائق المهمة والنادرة".

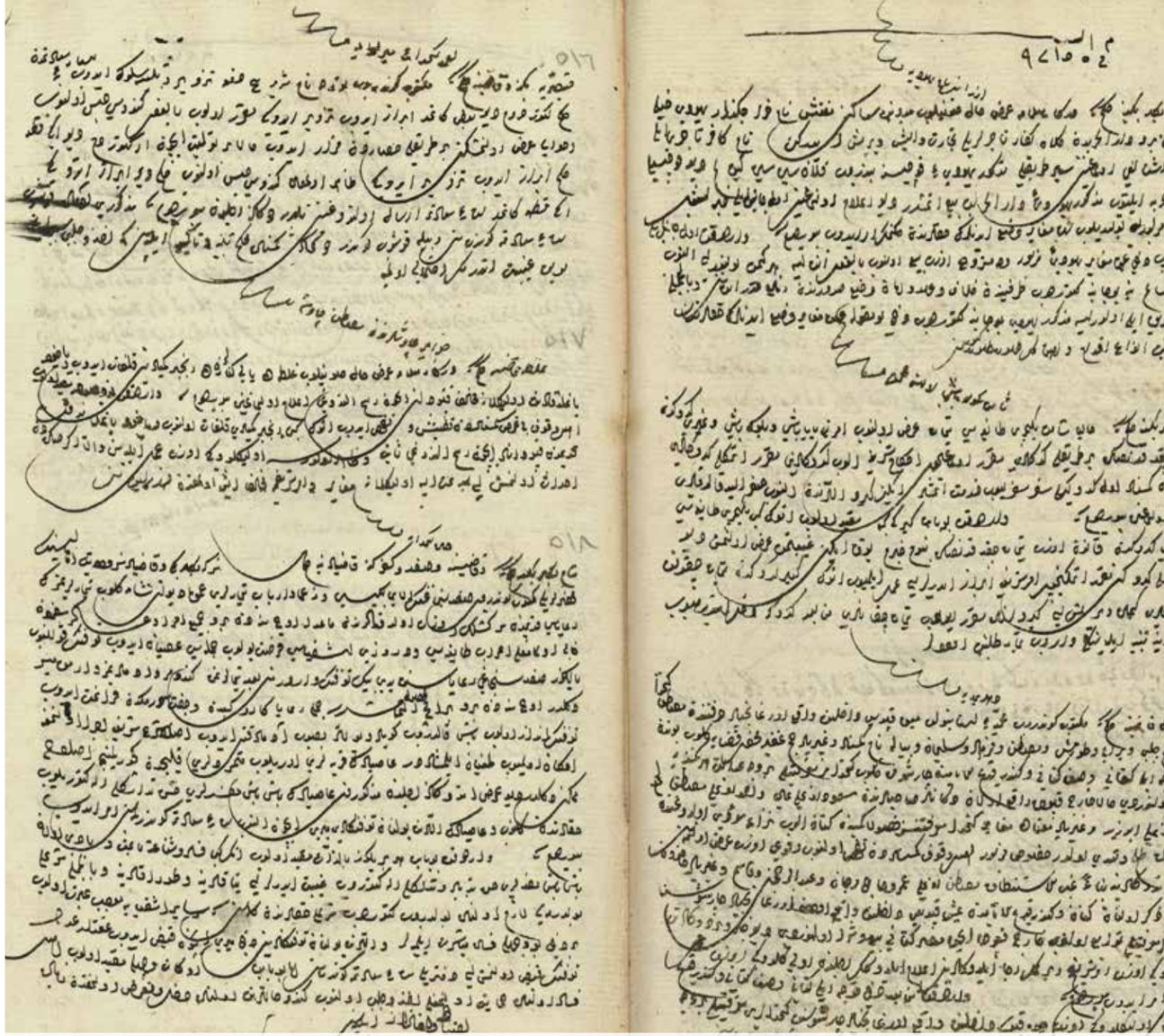

درس المؤرخ عبد الرحيم أبو حسين اللغة التركية القديمة فاستطاع كشف معلومات تاريخية كثيرة مستقاة منه

احتفاظ العثمانيين بكل ما كان يصدر من وثائق وعقود عن إداراتهم الرسمية لم يكن الهدف منه أن يصبح "تاريخًا ومادةً للبحوث"، بل إنهم كانوا يهدفون من خلاله إلى إدارة شؤون رعاياهم، وهو ما يعطي الأرشيف، في رأي أبو حسين، قيمة مضافة من الناحية التاريخية والعلمية، فعلى سبيل المثال، كان لديهم دفتر "الشكايات"، الذي خُصِّص للشكاوى القادمة من صوفيا في بلغاريا، بوخارست في رومانيا، بغداد، القاهرة، طرابلس الغرب، ودمشق، وذلك من دون أي تصنيف... وتوجد دفاتر "الطابو" ودفاتر "إجمال" ودفاتر أخرى.

يقول أبو حسين: "دفاتر "الطابو"، مثلًا، تتضمن إحصاء للسكّان، من مثل جبل لبنان أو جنوب لبنان، حيث نجد قوائم مفصَّلة بأسماء القرى، ومحصولها الزراعي والصناعي، وعدد سكانها، وطوائفها، وعدد رجال الدين في كلّ طائفة، فيتمّ تحصيل معلومات غنية جدًا، اقتصادية واجتماعية وديموغرافية، تساعد المؤرخ اليوم في أن يتصوَّر طبيعة الحياة في تلك الحقبة ويكتب عنها".

يشير أبو حسين أيضًا إلى ما يُسمّى "دفاتر المهمة"، وهي دفاتر الشؤون العامة، فإذا رفع أحد الأشخاص قضيّة في منطقة ما، فإنها تُرفع بدورها إلى كرسي الدولة في إسطنبول؛ أعلى سلطة في الدولة بعد السلطان، وهو الديوان الهمايوني. كما أنّ معظم هذه الوثائق صادرة عن الديوان الهمايوني، الذي يماثل مجلس الوزراء أو ديوان مظالم للدولة العليا بالاستئناف.

ويتابع شارحًا: "إذا عجز أحدهم عن حلِّ مشكلته، فإنه يرفعها إلى الديوان الهمايوني الذي كان يجتمع أربعة أيام في الأسبوع برئاسة السلطان. هذا التقليد بدأ في عهد السلطان سليمان. وبعد عقود، راح الصَّدر الأعظم، رئيس الوزراء، ينوب عن السلطان في رئاسة هذا المجلس، وإن حرص السلاطين أحيانًا على الحضور خلف شباك، فيشرفون ويشاهدون ويسمعون. معظم قرارات "الفرمانات" كانت تصدر باللغة التركية، وهذا يفرض على المؤرخ الباحث الإلمام بهذه اللغة".

درس المؤرخ أبو حسين اللغة التركية القديمة في إحدى الجامعات في "تركيا الحديثة"، وهو ما ساعده إلى حد بعيد في الكشف عن الكثير من المعلومات التاريخية المستقاة من هذا الأرشيف. أما العقبة الأخرى التي واجهها للاطلاع عليه، فهي تتمثل في أنَّ وثائق القرن السادس والسابع والتاسع عشر مكتوبة بخطِّ اليد، الأمر الّذي يتطلَّب مهارة خاصة في فكِّ أسرار هذا الخط اليدوي، فقد كانت أجيال المؤرخين تعتمد على بعضها البعض تباعًا في قراءة هذه المخطوطات والوثائق.

ويضيف: "وفَّقني الله بأستاذ تركي حذق للغاية، يُدعى خليل ساحلي أوغلو، كان ينظر إلى الوثيقة فيقرأها مباشرة. ومع تكرار المحاولات، يصبح المؤرخ والباحث قادرًا على القراءة السريعة ومعالجة الكلمات الصعبة. يضافُ إلى ذلك، ضرورة معرفة الأنظمة العثمانية في ضبط ملفّات إداراتها ومخطوطات دواوينها على اختلافها وتقادمها".

توزّع الأرشيف العثماني في العالم

الإمبراطورية العثمانية كانت دولة مترامية الأطراف في العالم، فهل استطاعت دولة مصطفى كمال أتاتورك حصر كل الوثائق والأرشيف وجمعه في تركيا الحديثة؟ يؤكّد المؤرخ أبو حسين أنّ هناك أعدادًا من صناديق الأرشيف العثماني موزّعة في بلدان عديدة، كان تربطها بالإمبراطورية آنذاك علاقات دبلوماسية، أو كانت من الأقاليم الخاضعة للسلطة العثمانية. ففي فيينا مثلًا، يوجد نوع من الأرشيف يسمى "دفتر المهمة"، وفيه دفاتر تحتوي 300 فرمان، وأخرى تضمّ 700 فرمان، وأخرى تتضمن أكثر من 1000 فرمان. السؤال إذًا: لماذا تتواجد هذه "الدفاتر" في فيينا؟ يعود ذلك إلى أنّ بعض السلاطين كانوا يقودون الجيوش بأنفسهم في الحروب، من مثل السلطان مراد والسلطان سليمان. وعادةً ما يخرج مع كل سلطان إلى أرض المعركة دوائر القصر الَّتي تهتم بخدمته ومتابعة كلّ شؤونه، ومن ضمنها الكتَبة. وفي مقال له، يصف ابن طولون، مثلًا، الجيش العثماني عندما وصل إلى دمشق، وكان السلطان سليم حينها على رأس الجيش، ويعدّد أصحاب المهن المتواجدين مع حاشية السلطان، حتى عدد الطباخين، وكانوا حينها 14 طباخًا بالتحديد.. وهكذا، فإنَّ فيينا التي حاصرتها الجيوش العثمانية مرتين؛ المرة الأولى في العام 1529، والمرة الثانية في العام 1638، لم ينجح الحصار في الإطباق عليها، وكان الجيش العثماني يتراجع، فيترك وراءه مخلّفات لا تحصى، ومن ضمنها العديد من تلك الدفاتر والوثائق. أيضًا، تتواجد وثائق عثمانية في فرنسا وألمانيا وغيرها من البلدان الغربية، نظرًا إلى المعاهدات والاتفاقيات فيما بينها.

آليات البحث في الأرشيف

إنَّ الأرشيف العثماني لم يكن مصنّفًا وفق الأساليب الحديثة الشائعة اليوم، وقد مرّت مراحل تصنيفه وترتيبه بآليات عديدة، ولا تزال هناك إلى اليوم المئات من الصناديق التي لمّا تصنّف بعد. ويضيف: "من هنا، ليس هناك معلومات يتحفَّظ عليها الأتراك في هذا الأرشيف أو يمنعون الباحثين أو المؤرّخين من الاطلاع عليها...".

يقول الدكتور أبو حسين: "كنت أقصد أماكن توافر هذا الأرشيف على مدى سنوات حتى التسعينيات، وكان الوصول إليها صعبًا إلى حدّ ما. كان القانون يفرض تقديم طلب عن طريق السّفارة، ليُرفع إلى وزارة الخارجية، وبعدها إلى وزارة الثقافة، فيمرّ وقت طويل للحصول

الشرح الذي تقدمه المصادر المحلية عن الاحتلال العثماني للشوف في العام 1585 يعدّ نموذجًا عن بعض المغالطات التي وقعت فيها هذه المصادر

المؤرخ الدكتور عبد الرحيم أبو حسين

على الموافقة. أحيانًا، كانت تتم الموافقة على الطلب بعد سنة أو سنتين. كان هذا في العام 1980 - 1981. بعدها، كان على الشَّخص أن ينال حق الإقامة في تركيا، وعندما يغادرها يُلغى الإذن مباشرة، وكان يسمح له بإعداد مئة صفحة فقط. أما اليوم، فأصبح الموضوع سهلًا، إذ يستطيع أيّ شخص من خلال جواز السفر أو الهوية أن يتوغّل في الأرشيف، فيطّلع على الكتالوغات...".

ويردف قائلًا: "اليوم، أصبح الاطلاع عليها يتمّ بشكل إلكتروني، فيجلس الشخص خلف الحاسوب، ويطّلع عليها من خلاله، ويقوم بتحديد ما يريد. قد تتواجد هذه الوثائق أو الكتالوغات في المبنى نفسه، فيحصل عليها خلال ساعة أو نصف الساعة، وبعضها يتواجد في أماكن أخرى، فيحدد المسؤولون موعدًا للحصول عليها، ومن ثم يستطيع الاطلاع عليها وإعادتها. اليوم، لا تُقدّم الوثائق الفعليّة ما لم تكن ضمن نظام "ديجيتال"، لأنهم يعتمدون على الطرق الأكثر حداثة، ولكن لا تزال ثمة كمّية هائلة من الوثائق، مما يتطلّب وقتًا طويلًا لأرشفتها وتصنيفها. وتوجد وثائق يقومون بتصويرها لأنها غير مصنّفة. وإذا ما أراد شخص ما الحصول عليها، فإنهم يقدمونها له على قرص مدمج مقابل بدل مادي بسيط".

ويقول: "كنت أقوم بالبحث في "دفاتر المهمة"، وهي تشمل الأحكام المتعلّقة بكلّ ولايات الدولة العثمانية والمدن والمناطق من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، ففي الوثائق التي تبحث في تاريخ بغداد خلال الحكم العثماني، لا يمكن الاكتفاء بقدر معيَّن من الوثائق، بل يضطر الباحث إلى الغوص في الوثائق كلّها، ذلك أنه ليس هناك دفتر مصنّف خاص ببغداد مثلًا أو غيرها. وإن وُجدت بعض التصنيفات، فإنها تفتقد إلى الدقة، لأنها تمت في ظروف صعبة، فالبعض كان يتقن اللغة العثمانية، والبعض الآخر لم يكن ملمًّا بها، ولذلك يضطر الباحث إلى إجراء نوع من المسح".

وثائق وحقائق مغيّبة!

ويضيف البروفيسور أبو حسين: "في تلك المرحلة، كنتُ أعمل بشكل خاص على الحركات الموجودة في ريف بلاد الشام، وكنت قد قرأت سابقًا للمؤرخين كمال صليبي وعبد الكريم الرافي وغيرهما عن علاقة الدروز بالسّلطنة العثمانية، فبدأت الشكوك تراودني. قرأت للمؤرخ الماروني البطريرك إسطفان الدويهي عن أشخاص أرذال أشقياء هجموا في العام 1586 على قافلة المال المصرية التي كانت في طريقها إلى إسطنبول وسرقوها. ويقول إنَّ العثمانيين، على خلفية هذا الحدث، هجموا على قرطماز معن في الشوف، ووقع النهب في عكار في الشمال، بينما كان رد الفعل في الشوف، فشعرت بأنَّ ثمة أمرًا ما غير واضح، وقمت بعد عمليّة بحث مضنية بإصدار كتاب "لبنان والإمارة الدرزية في العهد العثماني"، الذي يقدّم صورة مختلفة عن تلك التي قدّمتها الكتابات المحلية التقليدية والمؤلفات الحديثة حول علاقات الدروز بالعثمانيين قبل العام 1585، أو عن الفترة اللاحقة لإطاحة الأمير فخر الدين، فبسبب الغياب شبه التام للمعلومات التاريخية، ساد الاعتقاد بأنَّ علاقات الدورز ودية مع العثمانيين، وأن الزعماء الدروز كانوا محل ثقة وذوي مقامات رفيعة وكانوا يشغلون وظائف مهمة... وغالبًا ما كان التفسير التقليدي لحملات العثمانيين التأديبية ضدهم، يُعزى إلى التهم الكاذبة التي يلفّقها الخصوم المحلّيون لآل معن، لكن الحقيقة التي تؤكّدها وثائق "دفاتر المهمة"، والتي تغطّي الفترة الممتدة بين الأعوام 1553 و1905 من تاريخ لبنان، تقول إن العلاقات الدرزية العثمانية منذ منتصف القرن الثامن عشر كانت محكومة بحال شبه دائمة من التمرّد الدرزي".

ولأنَّ التفاوت كبير بين التوثيق المحلي في القرن الأول والثاني من حكم العثمانيين من جهة، والقرنين الأخيرين من جهة ثانية، والذي يُعزى إلى حقيقة أنَّ لبنان لم ينفصل عن محيطه السوري - العثماني، لكونه كان وحدة تاريخية مستقلة قبل القرن الثامن عشر، يكتسب

المؤرخ أبو حسين مشاركًا في مؤتمر بعنوان URBICIDE II في الجامعة الأميركية في بيروت

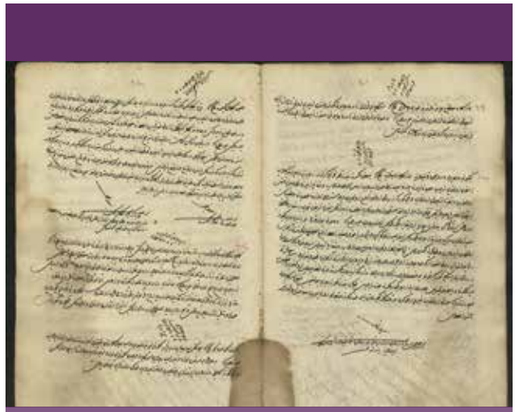

كانت وثائق القرن السادس والسابع مكتوبة بخطّ اليد، ما يتطلّب مهارة في فكّ أسرارها

الأرشيف العثماني يعيد النظر في رواية التاريخ العربي في الحقبة العثمانية وخصوصًا قضية الهويات

أحد مؤلفات الدكتور عبد الرحيم أبو حسين

التوثيق العثماني أهمية كبرى، لأنه يقدّم الموقف الرسمي والتعليمات الحكومية التي تتناول حوادث تلك الفترة ومشكلاتها منذ الفتح العثماني في العام 1516 وحتى إيجاد نظم الالتزام لإمارة جبل لبنان تحت حكم الشهابيين في العام 1711، ولم تتمكّن المناطق التي تسمّى "لبنان" اليوم من أن تكون وحدة تاريخية متكاملة، لكنها كانت مقسمة تبعًا لولايات سوريا العثمانية المختلفة، يضيف.

ويؤكّد أبو حسين أنَّ تاريخًا متسلسلًا ومفصّلًا تقدّمه وثائق "دفاتر المهمة" عن تمرد الدروز، الَّذين كانوا مزوّدين على الدوام بأسلحة نارية تتفوّق أحيانًا على أسلحة العثمانيين، وذلك منذ أربعينيات القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن السابع عشر. هذا التمرد الذي أحدث حالة طوارئ طويلة الأمد انعكست تلقائيًا في الوثائق، دفع السلطات العثمانية إلى إعادة النظر في الوضع الإداري للواء صيدا - بيروت، إضافةً إلى تغيير تبعيته بين ولايتي دمشق وطرابلس في تسعينيات القرن السادس عشر، وكان هذا اللواء قد تحوَّل إلى ما تسمّيه الوثائق "كلربكليك ولايت الدروز". لذلك، ونظرًا إلى تواتر "الثورات" فيه، جاءت الوثائق المتعلّقة به أكثر عددًا وأشد تفصيلًا من الوثائق المتعلقة بأية منطقة لبنانية أخرى.

يرى الدكتور أبو حسين أنّ الشرح الذي تقدمه المصادر المحلية عن الاحتلال العثماني للشوف في العام 1585، على سبيل المثال، يعدّ نموذجًا عن بعض المغالطات التي وقعت فيها المصادر المحلية فيما يتعلّق ببعض الإجراءات التي اتخذها العثمانيون، فالبطريرك المؤرخ إسطفان الدويهي، أول مؤرخ محلّي يذكر احتلال الشوف، يربط ذلك بسرقة قافلة الضرائب المصرية المتجهة إلى إسطنبول، التي ذكرناها أعلاه، رغم أنَّ الضرائب وصلت بالكامل، بينما توضح وثائق "دفاتر المهمة" أنَّ ذلك الاحتلال جاء لوضع حدّ لتمرّد الدروز.

تاريخ آخر أغفله النسّاخ!

يبدو غريبًا اقتصار الإشارات إلى ثورة الأمير فخر الدين معن (ت. 1635) على إشارتين عرضيتين حول سفره إلى توسكانا، فهذا الأمير، الذي يشكّل عنوانًا للفخر في التواريخ اللبنانية التقليدية، بوصفه البطل الوطني الذي منحه العثمانيون لقب "سلطان البرّ"، يظهر في وثائق "دفاتر المهمة" أميرًا للواء صفد أكثر من كونه أميرًا للواء صيدا - بيروت، إضافةً إلى أنه لم يُمنح البتة رتبة أعلى من رتبة "أمير لواء"، وليس هناك أيّ وثيقة تسند إليه لقب "سلطان البر".

يردّ المؤرخ أبو حسين عيوب هذه الوثائق إلى أنها ليست النسخ الأصلية، فقد أنجزها نسّاخ لم يكن جميعهم دقيقين أو أمينين في النقل، أو لم يكونوا يعرفون المناطق التي تتحدث عنها هذه الوثائق. بالطبع، لا يقلّل هذا العيب وسواه من قيمة هذه الوثائق بصفتها مصادر أولية فائقة الأهمية لدراسة تاريخ بلاد الشام في العهد العثماني، وعملًا مرجعيًا كسر احتكار المصادر المحلية والأوروبية لكتابة تاريخ لبنان في القرنين السادس عشر وما بعدهما. هذا الأمر يظهر أنّ الاهتمام بالأرشيف العثماني لم يكن كافيًا، يخبرنا البروفسور أبو حسين. وقبل العقود الأخيرة، لم يكن عدد الباحثين فيه أكثر من ثلاثة، ولكنّه اليوم في تصاعد، ذلك أن هذا الأرشيف يعيد النظر في رواية التاريخ العربي في الحقبة العثمانية، وخصوصًا فيما يتعلق بقضية الهويات، ومنها الهوية اللبنانية، التي عالجها أبو حسين استنادًا إلى الأرشيف العثماني.

وهناك قضايا أخرى كانت محطات مهمَّة توقف عندها أبو حسين حين أصدر عدة كتب تغطّي تقريبًا المساحة الزمنية للحقب التاريخية التي نقّب فيها، فأصدر في العام 1998 كتاب "الكنائس العربية في السجلّ الكنسي العثماني"، الذي يضم وثائق تنشر لأول مرة عن التراخيص التي منحتها الدولة العثمانية للطوائف والمؤسَّسات المسيحية واليهودية والإرساليات التبشيرية الأجنبية المختلفة في بلاد الشام والعراق. وفي دراسة مهمة نشرها في مجلة "أسطور" في العام 2017، يتناول أبو حسين رحلة العالم الدمشقي محمد بدر الدين الغزي بُعيد الفتح العثماني لبلاد الشام إلى إسطنبول (1530). تفيدنا رحلة الغزي في تلمّس طبيعة العلاقة بين العرب والأتراك وما انطوت عليه من سوء الفهم أو الأحكام المسبقة في هذه الفترة المبكرة من دخول بلاد الشام تحت الحكم العثماني. كما تكشف لنا هذه الرحلة عن شبكة العلاقات التي نسجها العلماء العرب مع أقرانهم وكيفية استمرارها عبر الأجيال.

للبروفيسور عبد الرحيم أبو حسين إصدارات أخرى، مثل "حوران في الوثائق العثمانية"، "صنع الأسطورة وبناء الأمة". يوضح في الكتاب الأوَّل العلاقة بين مركز الإمبراطورية العثمانية وحوران التي أدّت دورًا مهمًّا في زمن الإمبراطورية العثمانية لوقوعها على طريق الحجّ، فعُرفت بحمايتها له من قطّاع الطرق وقبائل البدو، وهو يعتمد في دراسته على الوثائق التاريخية العثمانية، ومنها ما كان رسالة بين متصرِّف حوران والسلطنة، ما يبيِّن الوضع السياسيّ والعسكريّ في الإمبراطورية العثمانية آنذاك. ويؤكِّد في كتابه تعاون السلطنة مع حوران في معظم الأحيان، بخلاف ما تعرضه بعض المصادر التاريخية.

ويدرس أبو حسين في كتابه "صنع الأسطورة وبناء الأمة" أُسُس بناء الدولة القومية والقواسم المشتركة التي تجمع المُنتَمين إلى تلك الدولة. ويبحث الكتاب في التاريخ اللبناني من خلال الوثائق العثمانية، فيشير إلى أثر المؤرِّخين المارونيِّين الإشكاليّ في التدوين التاريخيّ اللبنانيّ، أمثال إسْطفان الدوَيْهي وطنُّوس شدياق. ويشير أيضًا إلى آراء أستاذه كمال صليبي في ما يتعلَّق بالتاريخ اللبناني، وإلى أنَّ اختلاف اللبنانيّين حول تاريخهم قد يشكِّل سببًا في بناء "أمَّة لبنانية أقوى وأكثر تنوُّعًا". ولكن للأسف الشديد، يراوغ البعض في هذا التاريخ، فعندما يكتب الموارنة عن الفترة العثمانية، نجد الحديث عن "أنها استعمار"، ويقول البعض: "أجاعونا في الحرب العالمية وأوجدوا الطائفية"، ولكنّ العثمانيين عندما أوجدوا متصرفية جبل لبنان كانوا يهتمون بإشراك المسيحيين والدروز مع المسلمين في انتخاب العضو الماروني في مجلس الإدارة، والعكس أيضًا بالنسبة إلى الأعضاء الآخرين... وما حرب العام 1860 إلا فتنة أشعلتها الدول الأوروبية مع الموارنة كي تحبط مساعي السلطنة في تحديث الدولة، وبسط قوانين واحدة تساوي بين جميع رعاياها، وهذا أيضًا حدث مفصلي تؤكده الوثائق بالأرقام والأدلة، يختم أبو حسين.

زينب الطّحان: أستاذة جامعيّة وكاتبة وصحافيّة لبنانية. تخصّصت في النّقد الأدبي والسّرد الروائيّ. وأعدَّت أطروحة الدكتوراه حول الهجرة والهوية في رواية «بدايات» لأمين معلوف. صدر لها كتابان حول آداب ما بعد الكولونيالية.

للتّواصل عبر الإيميل: riza_zein@hotmail.com

ديوان الذاكرة

المكتبة الوطنية في لبنان:
بيت الهويات المتعددة وخزّان لذاكرة الحرب

غفران مصطفى

عاش لبنان منذ انتهاء الحرب الأهلية صراعًا جوّانيًا اجتماعيًا وثقافيًا في مأسسة الصروح الوطنية، بعدما تسبّبت الحرب بشروخ في الهوية الجامعة، فتحوّل إلى بلد الهويات المتعددة. هذه الحرب كان لها أثر في قطاعات محلية عديدة، كان من بينها المكتبة الوطنية، بعدما أغلقت أبوابها إثر اندلاع الحرب في العام 1975، وتعرضت مجموعات من الكتب ونحو 1200 مخطوطة للحرق والنهب، فيما نُقلت الكتب والدوريّات الباقية في الثمانينيات إلى مستودع في قصر الأونيسكو بهدف المحافظة عليها، إلّا أنّ أضرار الحرب لحقت بها، ما أثّر سلبًا في ظروف تخزينها، بحسب ما ورد في موقع المكتبة على الشبكة العنكبوتية.

تعود المكتبة اليوم إلى الواجهة الثقافية اللبنانية، بعدما أُعيد افتتاحها رسميًا في كانون الأول/ ديسمبر الماضي في مبنى كلية الحقوق والعلوم السياسية قديمًا، في منطقة الصنائع في بيروت، بعدما كان مقرّها في مرفأ بيروت. يمهّد الزرع الأخضر ممرات الدخول إلى المكتبة، فيما ترخي عمارة المبنى العثماني القديم جوًّا من الألفة على الزائر، وكأنه في بيت كبير. المبنى الذي جرى وضع الحجر الأساس لبنائه في العام 1905 أُنجز في العام 1907. في الداخل ممرّات عريضة تؤدّي إلى قاعات واسعة، أكبرها وأهمها قاعة القرّاء. المكان الواسع الهادئ تتوسّطه طاولات عريضة مخصّصة للقراءة، تحيطها من الجانبين الأيمن والأيسر رفوف كثيرة تصطفّ عليها مئات الكتب والنماذج التي يحرص أمناء المكتبة على عرضها لتبيان أهمّ ما تتضمنه، فيما توضع بعض الكتب بشكل فردي كأنها قطع فنيّة نادرة.

أبرز مقتنيات المكتبة

تتضمّن المكتبة وثائق نادرة، مخطوطات، لوحات، كتبًا، دوريّات، مجلّات، نشرات، منشورات حكوميّة، خرائط

المكتبة الوطنية اللبنانية في منطقة الصنائع في بيروت

وتصاميم، بطاقات بريديّة، مقطوعات موسيقيّة، ملصقات، وثائق إلكترونيّة (أقراصًا مدمجة)... وتتضمن أيضًا الوثائق الإدارية والتاريخية التي تركها الأتراك في العام 1918، "الفضائل المحمدية" (طُبعت على نفقة الدولة العثمانية في العام 1318)، كتبًا فنية أجنبية من العام 1933، مجموعة "شرح قانون المحاكمات المؤقت" لسليم بن رستم باز اللبناني التي تعود إلى العام 1895، مجموعة إدمون نعيم القانونية التي وهبها للمكتبة، الأعداد الأولى للعديد من الجرائد، مثل "حديقة الأخبار"، وهي أول جريدة مطبوعة في لبنان، و"ثمرات الفنون" الّذي يعود إلى العام 1858، أعداد مجلة "الأدب الشعبي" من الستينيات، أعداد مجلة "الآداب" منذ انطلاقتها حتى اليوم، مجلّة "روضة البلابل" الموسيقية التي تعود إلى العام 1920، أعداد المجلّة الكهنوتية من الخمسينيات، سفر المزامير الصّادر عن أوّل مطبعة في لبنان في دير قزحيا، أعدادًا من الثلاثينيات والأربعينيات لمجلة "العصبة"، دوريات حزبية وملحقات فلسطينية، من مثل "الثورة" و"المعركة" و"رصيف 81" و"فتح"، إضافةً إلى احتوائها قصاصات ومخطوطات ثمينة، منها مخطوطات متنوعة في الدين الإسلامي والكتب المقدسة باللسان العربي مع النسخة اللاتينية العامة المطبوعة بأمر من المجمع المقدس المتوكّل على انتشار الإيمان المسيحي لمنفعة الكنائس الشرقية في العام 1671، والكتاب مترجم عن الفولغاتا اللاتينية، وكان من بين العاملين على نصه العربي رهبان لبنانيون، بينهم إبراهيم الحاقلاني وسركيس الرزي.

وتضم المكتبة أيضًا الإنجيل المقدس "المكتوب من أربع الإنجيليين المقدسين... متى ومرقس ولوقا ويوحنا" من العام 1591، القرآن الكريم (بيروت، المطبعة العثمانية، 1887)، كتاب "در التاج في قصة الإسراء والمعراج" (مخطوطة)، ديوان أبي الطيب المتنبي من كتب جرجس صفا في العام 1898، كتاب "مرزبان نامه" ترجمة الشيخ العلامة أقضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عرب شاه (القاهرة، مطبعة الحجر، 1278هـ/ 1862م). وقد ترجم هذا الكتاب من اللغة الطبرية إلى اللغة الفارسية، ثم إلى التركية، وبعدها إلى العربية، ووضعه في القرن الرابع الهجرة أحد حكماء العجم المسمى أسفهيد مزربان من أبناء ملوك طبرستان.

كل ذلك إضافةً إلى لوحات زيتية لأركان النهضة الأدبيّة منذ القرن السابع عشر حتى القرن العشرين، من مثل عبد الله زاخر مؤسس الطباعة اللبنانية، داوود القرم أول مصور لبناني، والعلامة الشيخ أحمد عارف الزين مؤسس مجلة "العرفان" (1883 - 1960).

تأسيس المكتبة الوطنية

الأمر اللافت في تأسيس المكتبة الوطنية أنها انطلقت من مبادرة شخصية للفيكونت فيليب دي طرّازي (1956 - 1865)، الذي أسّس في العام 1919، وهو من هواة جمع الكتب النادرة ومؤرّخ الصحافة العربيّة، دار الكتب في منزله. وشكّلت مجموعته الخاصة - بحسب موقع المكتبة - الّتي تحتوي حوالى عشرين ألف وثيقة مطبوعة وثلاثة آلاف مخطوطة بلغات عديدة، نواةَ الدار. وأطلق لاحقًا على مكتبته اسم "دار الكتب الكبرى"، واختار ثمانية أدباء لمساعدته.

وبين الأعوام 1922 و1928، قام فيليب دي طرّازي بأسفار عديدة إلى أوروبا، ومن ثمّ إلى مصر، بغية اقتناء أعمال جديدة وجمع الهبات. وبهذا نشأت شبكة من العلاقات مع المثقّفين وجامعي الكتب في المنطقة. استقال دي طرّازي من منصبه كأمين للمكتبة في العام 1939 ليخلفه عدد من الأمناء، منهم: يوسف أسعد داغر، عبد اللطيف شرارة، هكتور خلاط، خليل تقيّ الدين، نور الدين بيهم، وإبراهيم معوّض.

تقول أمينة المكتبة والمسؤولة عن اختيار المجموعات المتضمنة فيها، ميشال سعادة أبي رعد، لـ"أرشيفو"، إن المكتبة ضمّت بين العام 1940 والعام 1975 مجموعة مؤلّفة من حوالى 200000 كتاب أو مخطوطة، وكذلك مجموعة فريدة من الأرشيف، ووثائق إداريّة وتاريخيّة خلّفها الأتراك في العام 1918، إضافةً إلى مستندات ودراسات عن بعثة هوفلان التي شكّلت أرشيف السنوات الأولى للانتداب. وقد اعتُبرت المكتبة مرجعًا مهمًا للجامعيّين والمدرّسين والمسؤولين الإداريّين، وباتت تساعد المكتبات العاملة في لبنان، لا سيّما المكتبات الجامعيّة. وخُصّصت فيها قاعة ضمّت أثمن التحف الفنيّة والمخطوطات القديمة، منها شاهناما الفردوسي.

الجدير بالذكر أنّه في إطار تزويد المكتبة بمجموعات الكتب، تمّ التعرّف إلى هُويّات واهبين كثر، نذكر على سبيل المثال أوّل رئيس للجمهورية اللبنانيّة بعد الاستقلال الشيخ بشارة الخوري، وبعض جامعي الكتب، من مثل ج. يني أو ج. صفا، وكذلك عائلات بعض المؤلّفين اللبنانيّين، على غرار حبيب فارس.

مرحلة إعادة التأهيل

شهدت المكتبة ورشة إعادة تأهيل للمرة الأولى بعد الحرب في العام 1999. وُقّع حينها اتّفاق بين وزارة الثقافة اللبنانية والوكالة العالميّة للترقيم الدوليّ (ISBN)، يخوّل لبنان الانتساب إلى نظام الترقيم الدوليّ. وفي العام 2000، تمّ تطبيق الترقيم الدوليّ الموحّد للكتاب، الذي يعطي كلَّ كتاب صادر في لبنان رقمًا دوليًا وهُويّةً عالميّة، وفقًا للمعلومات الواردة في موقع المكتبة.

وفي أواخر العام 2005، أعلن أمير دولة قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني تقديم هبة قيمتها 25 مليون دولار لترميم المبنى القديم وبناء المساحات الإضافيّة اللازمة. تذكر أبي رعد أنَّ العمل في ورشة إعادة التأهيل تركّز على فتح الصناديق،

إعادة افتتاح المكتبة الوطنية اللبنانية تهدف إلى ترميم الهوية التي دمَّرتها الحرب الأهلية، وهي فرصة للتصالح مع مجتمع لبناني تعدّدي.

المكتبة الوطنية اللبنانية في تسعينيات القرن الماضي

نماذج من الكتب والمخطوطات الموجودة في المكتبة الوطنية

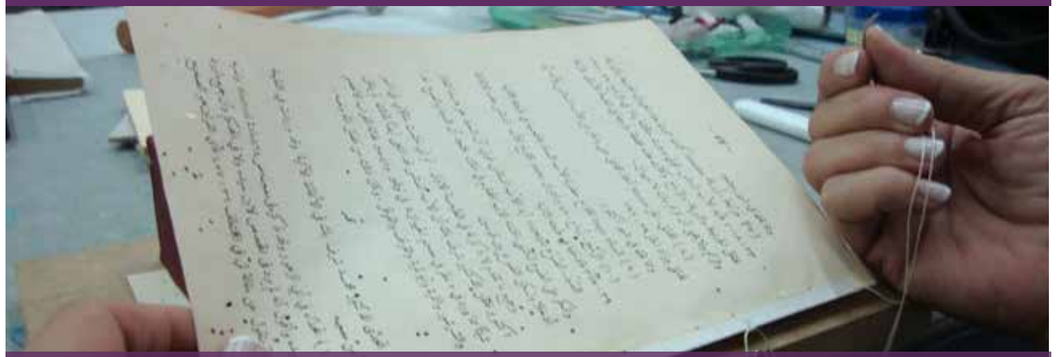

خياطة إحدى المخطوطات في المكتبة الوطنية

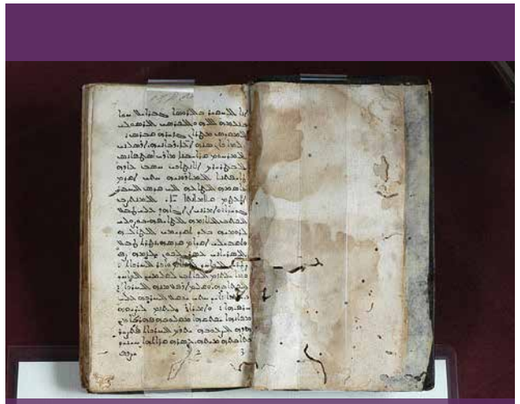

نسخة من مزامير النبي داوود باللغة السريانية

معالجة المخطوطات في المكتبة الوطنية

تعداد الكتب، التنظيف وإزالة الغبار، الفرز ووضع الأرقام الإلكترونيّة (باركود)، المسح الضوئيّ لصفحة العنوان (الرقمنة)، إدخال بيانات الجردة، والتخزين على الرفوف. وخضعت الدوريات لخطّة العمل نفسها: فتح الصناديق، الفرز، التنظيف، الجردة الإلكترونيّة والتخزين، وورشة ترميم الوثائق القديمة. تُعالج الوثائق التي تحتاج إلى ترميم وفق الحاجة، فإمّا توضع في علب أو تخضع للترميم البسيط، التعليب، الخياطة البسيطة، ترميم الزوايا والدوائر، وترميم الأوراق.

تهدف المكتبة الوطنيّة إلى حفظ الإنتاج الفكريّ الوطنيّ المنشور، على اختلاف أنواعه وأشكال نشره، تقول أبي رعد، وكذلك الأعمال والوثائق المتعلّقة بهذا الإنتاج خصوصًا، وتلك المتعلّقة بلبنان واللبنانيّين عمومًا، ممّا هو منشور أو محفوظ في الخارج، والمحافظة على هذه المجموعات بشكل دائم، وتنميتها باستمرار، وتلبية الحاجات الثقافيّة والعلميّة للجمهور.

وتضيف أن المكتبة تجمع مقتنياتها من خلال طرق عدة، منها تلقّي النتاجات الفكرية التي تصدر في لبنان على أنواعها، وتلك المودعة لديها بموجب الأحكام الخاصّة بالإيداع القانوني (كل كاتب يترك نسختين من كتابه لدى المكتبة الوطنية)، وجميع النتاجات التي سبق أن أُنتجت في لبنان ووُضعت بتصرّف الجمهور فيه، والاقتناء عن طريق الشراء أو الهبات أو الاستعارة أو الائتمان أو غير ذلك من الوسائل القانونيّة.

وتعمل المكتبة على تأمين شروط حفظ طويل الأمد للوثائق الرقميّة، بحيث يمكن الاطّلاع عليها، مهما كانت التطوّرات التقنيّة على صعيد البرامج المعلوماتيّة والوسائط والتجهيزات، كذلك حفظ المقتنيات والمجموعات، ومعالجتها الماديّة، عبر تأمين الظروف الملائمة للتخزين والقيام بعمليّات الترميم والتجليد... بما يتناسب ووسائط المقتنيات والوثائق. وتلفت أبي رعد إلى أنه من ضمن النشاطات التي تسعى إليها المكتبة تنظيم المعارض والنشاطات الثقافيّة وعقد المؤتمرات والندوات والحلقات العلميّة ذات الصلة بالنتاج الفكري اللبناني أو العالمي.

معايير اختيار محتوى المكتبة

يعتمد قسم تنمية المجموعات في اختيار الكتب التي ستضاف إلى مجموعة المكتبة الوطنيّة على معايير محدّدة تُقسَم إلى قسمين؛ "القسم الأول: كتب تتناول لبنان في موضوعاتها، وكتب نُشرت أو طُبعت في لبنان، وأيضًا كتب من تأليف كتّاب لبنانيّين أو من أصل لبنانيّ، بأيّ لغة، وفي أيّ مكان صدرت. أما القسم الثاني، فيعتمد على كتب عن الشرق الأوسط أو أيّ بلد عربيّ تهمّ الجمهور اللبناني، وكتب لمفكّرين أو أدباء عرب وعالميّين ذوي شهرة كبيرة"، بحسب أبي رعد، وتنطبق هذه المعايير أيضًا على الوسائط الماديّة كافّة، كالدوريّات والأقراص المدمجة والكتيّبات وغيرها.

تذكر مود إسطفان هاشم في دراسة لها عن المكتبة تحت عنوان "المكتبة الوطنية للبنان بين تقلّبات التاريخ واللامبالاة من البعض"، أنَّ المكتبة ضمَّت منذ نشأتها مجموعة لا تقدر بثمن لتاريخ المنطقة العربية والتركية والفارسية والأرمينية والسورية... وذلك من باب الانفتاح على العالم وتطوير مفاهيم الحداثة والتقدمية. وتلفت هاشم إلى أنَّ إعادة افتتاح المكتبة تهدف إلى ترميم الهوية التي دمَّرتها الحرب الأهلية وشرذمتها، وهي فرصة للتصالح مع مجتمع لبناني تعدّدي وتوحيد الثقافة المتنازع عليها. وتقول إنه لطالما عمل كثيرون على الدفاع عن مشروع المكتبة الوطنية اللبنانية ودعمه، ولا سيما المثقفون الذين يحبون الكتب، على عكس الإدارة السياسيّة التي لا حول لها ولا قوة.

ويظهر جرد مئات المجموعات المعروضة أنَّ المجموعة الموجودة قبل العام 1975 كان أكثر من 50% منها من الكتب الأجنبية. من هنا

تأهيل مبنى المكتبة الوطنية قبل افتتاحه في العام 2019

ولدت أهمية التعاون مع المكتبات حول العالم لتبادل المخطوطات والوثائق، إضافةً إلى السعي المستمر لحشد المجموعات من جميع الدول العربية.

وتؤكّد هاشم أهمية إحياء مؤسَّسة تمثل الهُوية الثقافية اللبنانية في تنوعها، وتشكّل مكانًا للذاكرة والانفتاح والاهتمام بالأعمال المولودة في لبنان، بغية الوصول إلى ثقافات العالم، بالتوازي مع ضرورة بذل الجهد لإعادة بناء ذاكرة سنوات الحرب، التي ينبغي توثيقها قبل فقدان ذاكرتها، من خلال جمع الكتب والوثائق المتعلقة بتلك الحقبة.

غفران مصطفى: منتجة برامج في تلفزيون الميادين. حائزة على شهادة ماجستير في علوم الإعلام والتواصل من الجامعة اللبنانيّة في بيروت. نشرت عددًا من المقالات الأدبية والاجتماعية في جريدتي السفير والأخبار.

للتواصل عبر الإيميل: ghofran.moustafa@gmail.com

ثقافة أرشيفية

الأرشيف السّحابيّ.. الثّورة التقنيّة الثالثة

فرح سبيتي

من منّا لم يفقد معلوماته المخزّنة على الوسائط الإلكترونية من الحاسوب أو الأقراص المدمجة أو الذاكرة الرقمية المحمولة (Flash memory) أو غيرها؟ تتعدّد الأسباب، ولكن غالباً ما يكون فقدان المعلومات نهائياً. اليوم، يمكننا أن نعتبر كلّ ما سبق من طرق تخزين المعلومات طرقاً تقليدية وقديمة، بعد أن شاعت طرق التخزين السحابي التي تتيح "الأرشفة السحابية".

إنّ مصطلح التّخزين السّحابيّ مصطلح جديد يحمل الكثير من الفوائد والحلول للعديد من المشكلات التي تواجه الأفراد والمؤسَّسات بشكل متكرّر، ما ساهم في إقبال المستخدمين على استخدام مواقع التخزين على الإنترنت "السحابة" بشكل لافت، وبخاصة بعد تقديم العديد من الخدمات المساعدة في الحياة اليومية، من أهمها خدمة إمكانية تخزين المعلومات التي لا تشترط استخدام الحاسوب الشخصي، وإنما يتم إنجاز جميع هذه الإجراءات (التخزين، المعالجة، النسخ والمشاركة) على خوادم خارجية (Server) متاحة على سحابة الإنترنت، مع ضمان أمن هذه المعلومات وضمان الوصول إليها في أيّ مكان وزمان، ومع الحفاظ عليها من تجاوزات القرصنة أو الفيروسات.

نشأة الحوسبة السحابية

"السّحابة" تعبير كان يستخدم في البداية للإشارة إلى الإنترنت، وذلك في مخطّطات الشبكات، حيث عُرف على أنّه رسم أوّلي لسحابة يتم استخدامها لتمثيل نقل البيانات من مراكز البيانات إلى موقعها النهائي في الجانب الآخر من السحابة.

جاء طرح جون مكارثي (الأستاذ في جامعة ستانفورد) لفكرة البرامج كخدمات عندما قال: "قد تنظّم الحوسبة لكي

الحوسبة السحابيّة هي نموذج لمشاركة تطبيقات وخدمات إلكترونية عبر شبكة الإنترنت

تصبح خدمة عامة في يوم من الأيام"، إذ أشار إلى إمكانية مشاركة الوقت (Time sharing) عبر تطبيقات خاصة. وبالفعل، حظيت تلك الفكرة بشعبية كبيرة في أواخر الستينيات، ولكنها تلاشت في منتصف السبعينيات، عندما اتضح أن التكنولوجيا الحديثة المتعلقة بمجال تكنولوجيا المعلومات غير قادرة على الحفاظ على هذا النموذج من الحوسبة المستقبلية، ثم ظهر مصطلح الحوسبة السحابية (Cloud Computing) في العام 1997 في محاضرة للعالم رامناث شيلابا (Ramnath Chellappa) من جامعة تكساس.

عادت فكرة "الحوسبة السحابية" (Cloud computing) لتصبح مصطلحاً شائعاً في المؤسسات التكنولوجية، ليتم فيها تقديم المصادر الحاسوبية كخدمات، ويتاح للمُستفيدين الوصول إليها عبر شبكة الإنترنت، من دون الحاجة إلى امتلاك المعرفة أو الخبرة أو حتى التحكّم بالبنى التحتية التي تدعم هذه الخدمات الهادفة بشكل أساسي إلى السماح للمستخدمين بحفظ أرشيفهم في مكان آمن غير معرض للتلف أو الزوال، كما هو الأمر في وسائل الحفظ التقليدية.

وفي العام 2007، قام كل من غوغل (Google) وأي بي أم (IBM) بمبادرة شراكة مع عدد من الجامعات على مستوى العالم بهدف الدخول في مشروع بحثي كبير لتطوير الحوسبة السحابية. لذا، أصبحت سحابة التخزين جزءًا لا يتجزأ من حياتنا الحديثة، ودخلت المنافسة في الخدمات بين غوغل درايف (Google Drive)، ودروب بوكس (Dropbox)، ووان درايف (One drive)، وبوكس كوم (Box.com)، وآي كلاود (ICloud) وغيرها، لتحمل بياناتنا المهمة على خوادمها (Servers).

تعريف الحوسبة السّحابية

إنّ الحوسبة السحابية (Cloud Computing) هي نموذج لمشاركة مجموعة من المواد الحاسوبية (مثل الشبكات والخوادم ووسائط التخزين والتطبيقات والخدمات) عبر شبكة الإنترنت من أيِّ مكان حسب الطلب، معتمدة على الاستخدام الافتراضي المشترك.

يرتبط مصطلح "السحابية" بالإنترنت، حيث يعتمد على مخطط السحابة الذي كان يستخدم سابقاً لتمثيل شبكات الهاتف والإنترنت، والسحابة هي نموذج لتسهيل وصول مناسب ودائم في أي وقت إلى الشبكة، لمشاركة مجموعة كبيرة من المصادر الحاسوبية التي يمكن نشرها وتوفيرها بأقلّ مجهود أو تفاعل مع موفر الخدمة.

تمثل الحوسبة السحابية الثورة التقنية الثالثة بعد الحاسبات الآلية والإنترنت، وتعتبر تطورًا لتقنيات الحوسبة الموزّعة (Distributed Computing)، والحوسبة المتوازية (Computing Parallel)، والحوسبة الشبكية (Grid Computing)، وقواعد البيانات الموزعة (Distributed Databases)، والحوسبة الأداتية (Utility Computing)، وحوسبة الحشود (Cluster Computing)، والبنية الخدمية (Service Oriented Architecture SOA)، وخدمات الويب (Web Services).

كما تعتبر نقلة نوعية لأجهزة الحاسبات المركزية، ويعدّ كلّ ما في داخلها خدمة (Service)، مثل الأجهزة (HaaS)، والبرمجيات أو التخزين (SaaS)، والافتراضية (VaaS)، والمنصّة (PaaS)، والبيانات (DaaS)، والعمليات (PRaaS).

أهمية الحوسبة السّحابية

تنبع أهمية الحوسبة السحابية مما يمكن أن توفّره من حلول خارجية وخيارات استراتيجية يمكن الاستعانة بها في تمكين مشروعات البحث العلمي التي تتطلب قدرات حاسوبية عالية بشكل أفضل مما قد تحقّقه في حال الاعتماد على الحلول داخل جدران أي مؤسسة، كما تساعد على خفض التكاليف وزيادة السرعة وخفة الحركة مع الخدمات التي يتم نشرها من دون أدنى مخاطرة على المؤسسة، نظراً إلى تحمل موفري السحابة كافة مخاطر رأس المال مقابل امتلاك البنية التحتية والبرمجيات، إضافةً إلى توفير الموارد والتطبيقات اللازمة والمعامل الافتراضية لتسهيل العمل.

وكما أشار رئيس اللجنة المنظمة في بروميديا العالمية، جمال عمران، خلال مؤتمر الكويت للأرشفة الإلكترونية والحوسبة السحابية، فإنَّ التكنولوجيا الرقمية غيّرت المفهوم التقليدي لحفظ الوثائق من التلف إلى خلق هذه الوثائق من جديد إلكترونيًا، من خلال مسحها ضوئيًا أو تصويرها وتخزينها في ذاكرة رقمية، مع المحافظة على صحة هذه الوثائق وسلامتها وسهولة الحصول عليها واسترجاعها على الفور من قبل المستخدمين.

مستويات الحوسبة السحابية

السّحب الخاصة Private cloud

تعمل البنية التحتية السحابية فقط للمنظّمات، فقد تديرها منظمة أو طرف ثالث، وقد توجد بناء على فرضية.

السّحب المجتمعية Community cloud

تتم مشاركة البنية التحتية السحابية بين عدة منظمات، وتدعم مجتمعاً معيناً له اهتمامات مشتركة، مثل الأهداف ومتطلبات الأمن والسياسة واعتبارات التوافق. ويمكن أن تديرها المنظمات أو طرف ثالث، وقد تكون موجودة على فرضية أو من دون فرضية.

السحابة العامة Public cloud

تتاح البنية التحتية السحابية لكل المستفيدين، وتمتلكها منظّمة بيع الخدمات السحابية.

السحابة المختلطة Hybrid cloud

تتكوَّن البنية التحتية السحابية من سحابتين أو أكثر (خاصة، ومجتمع، أو عامة)، وتظلّ كيانات فريدة من نوعها، ولكنّها مرتبطة معاً بتكنولوجيا معيارية أو مملوكة تتيح إمكانية حمل البيانات والتطبيقات، مثل انفجار سحابة لعمل توازن في التحميل بين السحب.

مكوّنات الحوسبة السحابية

للتعامل مع تقنية الحوسبة السحابية، لا بدَّ من توافر أربعة عناصر. العنصر الأول هو المستفيد أو العميل الذي سوف يستخدم هذه التقنية وينتفع من خدماتها من خلال استخدام حاسوبه الشخصي أو هاتفه المحمول الذي يشترط ارتباطه بشبكة الإنترنت، والعنصر الثاني هو المنصات (Platforms)، وهي الجهات المانحة لهذه الخدمة، من خلال توفير خادمات عملاقة في سعاتها التخزينية وسرعة معالجاتها للبيانات مثل (Google Apple).

ويعدّ العنصر الثالث عنصر البنية التحتية (Infrastructure)، وهي البنية التحتية للسحابة. يُعتمد عليها في تقديم الخدمة وتشمل توفير الحاسبات الشخصية وشبكة الإنترنت والمساحات التخزينية للمعلومات. وأخيراً، التطبيقات (Applications)، وهي البرامج التطبيقية التي يمكن أن يشغلها المستفيد في السحابة، وتشمل برمجيات معالجة النصوص والعرض والجداول وخدمات نقل المعلومات ومشاركتها.

لاستخدام الحوسبة السحابية، يمكن إنشاء حساب تخزين عبر استخدام البريد الإلكتروني (Gmail وHotmail) وغيرها من مواقع البريد الإلكتروني وخدماته، ويمكن الاستفادة من خدمات رفع وحفظ الملفات على الإنترنت في كل من Google Drive, Dropbox، وSkyDrive، وiCloud، وهي أشهر المواقع التي تقدم هذه الخدمة. كذلك، يمكن استخدام التطبيقات السحابية Google Photoshop Express، Docs، التي تعتمد على الفكرة نفسها، وتعمل بشكل مباشر على الإنترنت من دون الحاجة إلى تحميلها كتطبيقات.

خدمات الأرشفة والحوسبة السحابية

يستخدم مصطلح الأرشفة السحابية للدلالة على الوثائق التي يتم تخزينها من قبل المستخدمين عبر الحوسبة السحابية (Cloud Computing CC)، باستخدام التطبيقات المختلفة.

إنَّ خدمات تطبيقات الحوسبة السحابية هي خدمات مقدمة إلى كلِّ الأفراد والمؤسسات في كل القطاعات. وقطاع المعلومات والمكتبات والأرشيف يواكب دائماً التطورات التكنولوجية في محاولةٍ للوصول إلى المستفيد وتقديم الخدمات من دون حاجز الوقت أو المكان الجغرافي.

تلجأ اليوم مؤسَّسات المكتبات والأرشيف إلى الاستفادة من خدمات الحوسبة السحابية عبر برامج مثبتة على خوادم بعيدة للقيام بكل العمليات المكتبية وتقديم الخدمات للمستفيدين من دون الحاجة إلى وجود تلك البرامج على الحاسبات الموجودة في المكتبة.

أما أهم الخدمات التي يمكن أن تستفيد منها المكتبات أو مراكز الأرشيف، فهي خدمة إعارة الكتب الإلكترونية من مكتبة سحابة (ebook-lending). هذه الخدمة تتيح استعارة الكتب الإلكترونية وقراءتها، مع إمكانية السماح للمستفيدين بوضع الحجوزات على المواد.

وهناك خدمة IaaS، وهي البنى التحتية كخدمة Infrastructure as a services، وتنطوي على كلّ من خدمات التخزين، والنسخ الاحترازية، والتعافي من الكوارث، وقواعد البيانات والأمن. أما خدمة PaaS، فهي المنصَّة Platform as a service، وهي مجموعة من البرمجيات وأدوات تطوير المنتجات مثل تطبيقات غوغل Google Apps.

ومن خدماتها أيضاً، خدمة SaaS، وهي اختصار لمصطلح Storage as a service، أي التخزين كخدمة. هذه الخدمة تتيح الخدمات المرجعية، وإرشاد القراء، وإمكانية عقد المؤتمرات عبر الويب Skype, Google voice, Google plus & Hangouts. كما تتيح التسويق والاتصالات على الويب عبر شبكات التواصل الاجتماعي، كالفايسبوك وتويتر ويوتيوب وغيرهم، والمشاركة في الوثائق والملفات مثل:DropBox, Google Docs Evernote & Sugar Synx.

يوفر التخزين السحابي العديد من الخدمات السحابية المتاحة على شبكة الإنترنت. هذه الخدمات يمكن أن تستفيد منها المكتبات ومؤسسات الأرشيف، من ناحية إتاحة الخدمات المجانية للمستخدمين، وحفظ الملفات الاحتياطية، مع إمكانية التحرير ومزامنتها على أكثر من جهاز وتنزيلها عند الحاجة في أيّ مكان وعلى أي جهاز. وأشهرها هذه الخدمات هي شركة غوغل، وتطلق على الخدمة اسم غوغل درايف (Google Drive).

غوغل درايف Google Drive

تقدّم شركة غوغل خدمة/ تطبيق غوغل درايف (Google Drive) السّحابية. ظهرت هذه الخدمة في شهر نيسان/ أبريل 2012، وهي خدمة تخزين سحابي لملفات قدَّمتها شركة غوغل، بحيث يمكن تخزين الملفات على خوادم غوغل بشكل آمن، ولا يمكن لأيٍّ شخص الوصول إليها إلا من خلال الحساب الخاصّ، وهو غالباً ما يكون مدمجاً مع نظام الأندرويد في الهاتف. ويعدّ الوسيلة الأكثر استخداماً في مجال التخزين السحابي، حيث إنه يتميز بسهولة الاستخدام وبالسرعة، بالتالي يقدم سعة تخزين كبيرة وإمكانية ربطه بحساب Gmail الخاص بالمستخدم. كما أنه يعتبر امتداداً لخدمة Google Docs التي تتيح تحرير المستندات والنصوص ومعالجتها والقيام بالعديد من الإجراءات عليها.

يتيح تطبيق غوغل درايف (Google Drive) مساحة تخزين مجانية تبلغ 15 جيغا بايت، يمكن زيادتها إلى 100 جيغا بايت مقابل دولار وتسعة وتسعين سنتًا، و1 تيرا بايت مقابل 9.99 دولار، ترتفع إلى 30 تيرا بايت مقابل 299.99 دولاراً (أسعار شهرية). وإذا كان غوغل درايف يوفّر سعة تخزين مجانية قدرها 15 جيغا بايت، وهي سبعة أضعاف المساحة المقدمة من دروب بوكس 2 جيغا بايت، لكنها تشمل أيضًا كلًا من خدمات غوغل درايف، وغوغل بلاس، وجي ميل، وأيّ خدمة أخرى تستخدم من غوغل.

دروب بوكس Dropbox

هو موقع خارجي يستضيف الملفات ويعمل على تقديم خدمات سحابية خاصة بالمستخدم على الإنترنت، بحيث تتيح له حرية التخزين للملفات وعمل مزامنة (Synchronization) لمختلف ملفاته بين عدة أجهزة ووسائط مختلفة (صور وفيديو وتسجيلات ووثائق وغيرها).

يقدّم هذا الموقع مساحة مجانيّة تصل إلى 2 جيغا بايت، ويسمح بشراء مساحة أخرى أو بدعوة مشتركين آخرين، الأمر الذي يساعد في زيادة 500 ميغا لكلِّ مشترك جديد بشكل مجاني.

دروب ساند Dropsend

يتميّز هذا الموقع بتقديم مساحة تخزين حفظ الملفات تصل سعتها إلى 8 جيغا بايت، كما يتميَّز بالسرعة والأمان ومشاركة الملفات مع الآخرين.

سكاي درايف Skydrive

يوفر هذا الموقع الخاص بشركة مايكروسوفت العديد من الخدمات. وإذا كان المستخدم من مستخدمي ويندوز 8 أو ويندوز 10، فسوف يجد هذه الخدمة مثبتة على الويندوز

الحوسبة السحابية هي نموذج لمشاركة مجموعة من المواد الحاسوبية عبر شبكة الإنترنت من أيّ مكان حسب الطلب، معتمدةً على الاستخدام الافتراضي المشترك.

تقدم شركة أبل الآي كلاود
وتتيح عبره إمكانية مزامنة الملفات وتصفّحها

الخاص به، ويعطيه الموقع خدمة تخزين سحابي تبلغ 7 جيغا بايت لتصل إلى 20 جيغا بايت مع سداد 1.99 دولار شهريًا للحصول على مساحة 100 جيغا بايت، و3.99 دولار لمساحة 200 جيغا بايت، و6.99 دولار لمساحة 1 تريبايت. كما يمكن أن يقوم بتخزين أي نوع من الملفات عليها، ويستطيع الوصول إليها عن طريق الهاتف أو الكمبيوتر الخاص به.

كما جاء دمج "وان درايف" مع "أوفيس" على الإنترنت ليجعل تحرير ملفات "مايكروسوفت أوفيس" أمرًا سهلًا، وهي خدمة تشمل تطبيقات "أندرويد" و"IOS" و"ويندوز فون"، ما يجعل الوصول إلى الملفات والوثائق وإدارتها أسهل على شبكة الإنترنت.

آي كلاود iCloud

تقدم شركة أبل (Apple) الآي كلاود (ICloud) وتتيح عبره للمستخدم إمكانية مزامنة الملفات (Synchronization) وتصفّحها، من خلال كل أجهزة أبل، سواء الأيفون أو الأيبود أو الأيباد أو أي من أجهزة الماك (Mac)، وحتى أجهزة الويندوز (Windows). من خلال هذه الخدمة، يكفي مجرد التقاط صورة أو تحميل ملف صوتي أو فيديو على أحد الأجهزة في الوقت نفسه. وبسبب هذه الإضافة، يمكنك مشاهدة الملفات المفضّلة من كل الأجهزة الأخرى والاستماع إليها، حيث تقوم iCloud بمزامنة الملفات بشكل آلي ومن دون تدخل المستخدم.

كلاود برينت Cloud Print

يتميّز هذا التطبيق بإمكانية استعراض العديد من امتدادات الملفات المختلفة وإمكانية طباعة البريد الإلكتروني أو الملفات النصية بمختلف أنواعها، وهو مجاني بشكل كامل.

ميغا كلاود Mega Cloud

هذا التطبيق مجانيّ بشكل كامل، وهو يُمكّن المستخدم من التحكّم بالملفات التي قام برفعها على موقع التطبيق وإدارتها، كما يمكّنه من عمل روابط تنزيل مباشرة للملفات المخزّنة على سحابة التطبيق.

أمازون درايف Amazon Drive

هو واحد من أفضل مواقع التخزين السحابي، وهو تابع للموقع الشهير (Amazon). تم إطلاقه ليقوم بمنافسة الشركات الكبيرة المتخصصة في هذا المجال، حيث يقدم مساحة قدرها 5 جيغا بايت، ويمكن شراء مساحات أكبر.

مزايا الحوسبة السحابية

لا شكّ في أنَّ التكاليف المتزايدة هي أحد الأسباب الرئيسية لبحث شركات التّصنيع عن مصادر مختلفة يمكنها توفيرها على شبكة الإنترنت، ومن ثم توفير التكلفة وإتاحة سهولة الوصول للبيانات المخزنة. ولعلّ أبرز الإيجابيات تتمثل في عدم وجود حاجة لشراء معدات قوية ومكلفة لاستخدام الحوسبة السحابية، ومزامنة الملفات (Synchronization) على أكثر من جهاز، وتكاليف بنية تحتية أقلّ لتكنولوجيا المعلومات، فضلاً عن تكاليف الصيانة، لأن تكاليف صيانة العتاد والبرامج للمنظّمات ستنخفض أقلّ بكثير مهما زاد عدد الأجهزة والبرامج المتاحة في الشركة. وفي هذا المجال أيضاً، يلاحظ انخفاض تكاليف البرمجيات، إذ ليس هناك حاجة لشراء حزم البرمجيات لكل الحواسيب في المنظمة.

وتكمن أهميّة الخدمات السحابية في سهولة الاستخدام وبساطة التعامل معها والتصميم السهل السلس وإمكانية مشاركة الملفات مع الآخرين، ما يجعله وسيلة سهلة وبسيطة وسريعة لمشاركة البيانات والملفات والمعلومات. تعمل خدمات التخزين السحابي بشكل دائم، وتكون متاحة في أي وقت، ولن تتعرض للفقدان أو السرقة أو التلف، وتوفر السحابة سعة تخزين افتراضية غير محدودة تقريباً، ذلك أنَّ لديها سعة تخزينية غير محددة، ويمكن زيادتها في أي وقت برسوم إضافية بسيطة. كذلك، تتميز بسرعة الوصول للملفات والبيانات في أي مكان من دون الحاجة إلى حمل الأقراص التي تخزن عليها ملفاتك.

ويتم تخزين كل البيانات في السحابة، ما يشجّع على عدم القلق من ضياع القرص أو حدوث أي كوارث في المكتب وغيرها، ويوفر زيادة أمان للبيانات، ويمكن الوصول إلى الملفات من أي مكان متصل بالإنترنت. ومن الأمور المهمة فيها أيضاً، أنّ تكنولوجيا المعلومات صديقة البيئة، لكونها تعمل على تقليل عدد الماكينات والأجهزة المستخدمة.

تحديات الحوسبة السّحابيّة في الأرشفة

يواجه نظام التوثيق والأرشفة الإلكترونية العديد من العقبات والتحديات، رغم الاستراتيجيات الجديدة والأدوات الفعالة لحمايته وحفظ البيانات بأقصى درجة من السرية والأمان وتنشيط البحث العلمي، وذلك يتمثّل في مشكلة التخزين السحابي، لأنه يتطلّب اتصالًا مستمرًا بالإنترنت، كما أنَّ سرعة الاتصال بالإنترنت تؤثر في الحوسبة السحابية، ما يجعلها بطيئة جداً أو مستحيلة، وبخاصّة خدمات الاتصال الهاتفي، حيث تتطلّب تطبيقات الويب نطاقاً عريضاً من الترددات لسهولة التحميل وفتح الملفات كبيرة الحجم.

وثمة احتمال لفقدان البيانات المخزّنة، ففي حال فقد المستخدم بياناته الشخصية بسبب اختراق البريد الإلكتروني مثلاً، ولم يكن هناك نسخة احتياطية لديه، فسيتعرَّض للخطر باعتماده على السحابة. ولذلك، يفضّل أن لا يقوم المستخدم بتخزين الملفات عالية الأهمية باستخدام التخزين السّحابي.

المراجع:

1. الزهيري، سعد (2018). الحوسبة السحابية واستثمارها المستقبلي في المكتبات العامة السعودية - رؤية استشراقية. استرجع من: slaagc.org/slaagc2018.
2. عبيد، عصام (2014). دور الحوسبة السحابية Cloud computing في المكتبات الرقمية ونظم الأرشفة الإلكترونية. استرجع بتاريخ 15 تشرين الأول/ أكتوبر 2018 من: https://bit.ly/2Z7cIRg
3. كلو، صباح (2015). الحوسبة السحابية: مفهومها وتطبيقاتها في مجال المكتبات ومراكز المعلومات. استرجع بتاريخ 15 تشرين الأول/ أكتوبر 2018 من: https://bit.ly/2v9382s
4. يس، نجلاء أحمد (2013). الحوسبة السحابية في المؤسسات الأكاديمية: سحابة قطر الحاسوبية نموذجًا. مجلة الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات، مج 20، ع 40 (يوليو 2013). استرجع بتاريخ 14 تشرين الأول/ أكتوبر 2018 من: https://bit.ly/2v6PdtI
5. نظم الحوسبة السحابية مفتوحة المصدر: دراسة تحليلية مقارنة. (كانون الثاني/ يناير 2013). المجلة العراقية لتكنولوجيا المعلومات. مج 5، ع 2. استرجع بتاريخ 13 أكتوبر/ تشرين الأول 2018 من: https://bit.ly/2GoTSOm

فرح سبيتي: أستاذة محاضرة في كلية الإعلام في الجامعة اللبنانية. تعد أطروحة دكتوراه في الكلية نفسها بعنوان "التكنولوجيا المساعدة في خدمات مكتبات الجامعة اللبنانية لذوي الاحتياجات البصرية".

للتواصل عبر الإيميل: farahsbeity@gmail.com

المؤلّفات الشّيعيّة في الجزيرة العربيّة.. عمل موسوعيّ توثيقي متخصّص

رؤى شمس الدين

يعدّ معجم "المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية" أحد أبرز الأعمال التوثيقية التي شُغلت بتوثيق أعلام الشيعة على امتداد تاريخهم. استغرق العمل في هذا المعجم بأجزائه الأربعة ثلاثين عامًا. انطلق الشيخ حبيب آل جميع في رحلة جمع المؤلفات وتوثيقها في العام 1407هـ/ 1987م. كانت الانطلاقة والتأسيس في إيران، وكان العمل يقوم على رصد مؤلفات أعلام الشيعة في الجزيرة العربية وتوثيقها، وذلك في كبريات المكتبات العامة في إيران، مثل مكتبة العتبة الرضوية في مشهد المقدسة، ومكتبة المرعشي النجفي في قم المقدسة، ومكتبة إيران الوطنية في طهران، ومكتبة مجلس الشورى الإيراني في طهران. واستدعى العمل السّفر إلى العراق ولبنان وسوريا من أجل توثيق ما كتبه أبناء الطائفة الشيعية في الجزيرة العربية في بلدان المهجر.

يشير الشيخ آل جميع إلى أنّ المعجم يتمحور حول أربع نقاط. أولًا: التأريخ لهذا الإنتاج الفكري الشيعي الإمامي في منطقة الجزيرة العربية، باعتبار ذلك من الأهداف العلمية المشروعة. ثانيًا: التركيز على الإبداع الشيعي الإمامي، لإعادة الاعتبار إلى أتباع هذا المذهب الذين عانوا الاضطهاد والتهميش طوال التاريخ، ولا يزالون يعانون أشكالًا متعددة من الحرمان والتهميش. كذلك، رصد إبداعاتهم الفكرية والعلمية، ذلك أنه يكشف عن حجم نشاطهم الفكري ومساهماتهم في مجالات المعرفة المختلفة والمتعددة، وفي ذلك إجابة مباشرة وردّ عمليّ وعلميّ على بعض الاتهامات التي تحاول النيل من كفاءة العقل الشيعي الإمامي وقدرته على التفكير والإبداع وإنتاج المعرفة العلمية والعقلانية البعيدة عن الخرافات والأساطير، كما تكشف تفاعله الإيجابي مع الواقع المحلي والإقليمي والعالمي، وما يحمله هذا الواقع من متغيرات وتطورات وأحداث موثرة، وهذا يؤكّد حيويته وانخراطه ومساهمته في معالجة قضايا الواقع والتفاعل معها، بحسب قوله.

كذلك، تتأتى أهمية هذا الرصد في كشف اتجاهات التفكير والمواضيع والقضايا التي حازت اهتمام العقل الشيعي الإمامي داخل هذه المنطقة وفي المهجر، ومعرفة مدى انشغاله بقضايا دون أخرى، والقضايا التي أهملها ولم يُعرها اهتمامه، وكذلك الاهتمامات الجديدة التي تفاعل معها بشكل إيجابي. ويرى آل جميع أنّ هذا العمل يقدم خدمة معرفية مهمة للباحثين والدارسين والمهتمين بشؤون هذه المنطقة.

وكان الاهتمام أيضًا بمتابعة طرق العلماء الذين كانوا سباقين في ميادين إنجاز الفهارس، وتتبّع سير علماء الشيعة وآثارهم الفكرية، أمثال: الشيخ نصير الدين الطوسي، منتجب الدين ابن شهر آشوب، وآغا بزرك الطهراني، وغيرهم ممن اهتموا بهذا المجال، وتمكّنوا من الكشف عن الوجه المشرق والمبدع للتشيّع الإمامي، وحجم مساهمة علماء مذهب أهل البيت (ع) في الحضارة الإسلامية.

ويضيف الشيخ آل جميع: "كما كلّ عمل ببليوغرافي موسوعيّ يؤرخ لحقبة زمنية معينة، ويتخصَّص في مذهب معين، فإنّه يمر بمجموعة من الصعوبات والعقبات، ولكننا بتوفيق من الله تبارك وتعالى تغلّبنا على أغلبها، وبذلنا جهودًا مضنيةً لإخراج هذا العمل إلى النور، وتحمَّلنا المشاق الجمة في التنقيب عن تراث المذهب الشيعي في الجزيرة العربية، وجمع إبداعات رجاله وإعلامه وتوثيقه ورصده".

لا شك في أنَّ هذا العمل المعرفي احتاج إلى جهود كبيرة وحثيثة تضافرت جميعها لإنتاجه. وفي هذا المجال، يقول سماحته: "ساعدني وأمدّني بالعون في جمع مادة هذا الكتاب وإعدادها عدد من الأصدقاء وأصحاب المكتبات، منهم الأستاذ عبد العزيز آل عبد العال، والأستاذ نزار آل عبد الجبار، والأستاذ حسن آل حمادة، الذين كانوا يرفدونني بالإصدارات الحديثة الخاصة بمحافظة القطيف، والأستاذ السيد عباس الشبركة الذي جنَّد نفسه لجمع الكتب الخاصة بأعلام القطيف من الماضين والمعاصرين وتوثيقها، حتى كوّن المكتبة القطيفية بجهوده الذاتية، فكانت أبواب مكتبته العامرة مشرعة أمامي للاستفادة منها عند الحاجة، فضلًا عن المهندس الأستاذ عبد الله الشايب والأستاذ أحمد البدر، اللذين كانا يزودانني بالإصدارات الحديثة الخاصة بمحافظة الأحساء".

يوثق معجم «المؤلّفات الشّيعيّة في الجزيرة العربيّة» كل ما ينتجه المجتمع الشيعي الإمامي داخل الجزيرة العربية، ويتميز بكونه عملًا موسوعيًا متخصصًا.

الشيخ حبيب آل جميع

يطمح الشيخ آل جميع لأن يساهم المعجم في جزئه الرابع في رصد كلّ الكتاب والمؤلفين في الجزيرة العربية وتوثيقها. ويضيف: "لذا، ندعوهم جميعًا إلى التواصل معنا وتزويدنا بمعلومات شخصية عنهم وعن كتبهم ومؤلفاتهم في شتى الميادين المعرفية، كما أطمح أن تكون موسوعة المعجم بأجزائها الأربعة مصدرًا علميًا لكل من أراد الكتابة عن أعلام المنطقة وتاريخها".

وفي رأيه، يتميّز هذا المعجم بكونه عملًا موسوعيًا، يتخصّص في الحديث عن مذهب معين، ويتناول منطقة جغرافية معينة، فهو معجم بيبليوغرافي يرصد كل ما ينتجه المجتمع الشيعي الإمامي داخل الجزيرة العربية ويوثقه، وهي ما يُعرف حاليًا بالمملكة العربية السعودية، وما ينتجه أبناء هذا المجتمع في بلدان المهجر من إبداع فكريّ في شتى المجالات المعرفية. يذكر أن الشيعة الإمامية يتواجدون في المملكة العربية السعودية - حاليًا - في الحواضر والبقاع التالية: القطيف والأحساء والدمام والجبيل والخبر والمدينة المنورة والرياض وجدة ووادي الفرع، يضيف.

وقد امتدَّت الفترة الزمنية التي يغطيها المعجم في جزئه الأول من بعد عصر الغيبة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي (عج) في العام 328هـ وحتى أواخر العام 1416هـ ويغطي الجزء الثاني المرحلة الممتدة من العام 1417هـ وحتى العام 1424هـ فيما يتناول الجزء الثالث المرحلة الزمنية الممتدة من العام 1425هـ وحتى العام 1431هـ

وبلغ ما ذُكر في الجزء الأول من عناوين مؤلفات للكُتاب 232 عنوانًا، توزعت على 580 كاتبًا. وفي الجزء الثاني 2151 عنوانًا، توزّعت على 720 كاتبًا. وفي الجزء الثالث 2000 عنوان، توزعت على 720 كاتبًا من القدماء والمُحدثين. وبحسب الشيخ آل حبيب، يدلّ مجموع الأرقام المذكورة في الأجزاء الثلاثة، والذي بلغ 6453 عنوانًا، على وفرة مساهمات الشيعة في هذه المنطقة، خدمةً للفكر والعقيدة، ومواصلةً لرفع صرح الحضارة الإسلامية، وفقًا لرأي العلامة الراحل الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، كما جاء في مقدمته الواردة في الجزء الثاني من هذا المعجم.

ولتنظيم المعجم، ارتكز العمل على ذكر اسم الكتاب أولًا، مرتبًا حسب الحروف الهجائية، واسم المؤلف رباعيًا، مع ذكر مكان ولادته وتاريخ ميلاده باليوم والشهر والسنة، مع توثيق اسم الناشر ومكان النشر، وسنة الطباعة بالتاريخ الهجري والميلادي، وعدد الصفحات وقياس الكتاب. أما الكتاب المخطوط، فقد ذُكر اسمه مع نبذة مختصرة لوصفه.

واشتملت الصفحات الأخيرة من كلّ مجلد على كشّاف خاص بأسماء المؤلفين الّذين وردت أسماؤهم في ثنايا صفحات المعجم بأجزائه الثلاثة، واحتوى كلّ جزء من المعجم 24 فصلًا وعناوين فرعية، وبلغت عدد صفحات الجزء الأول 743 صفحة، والجزء الثاني 800 صفحة، والثالث 825 صفحة. وقد قدّم للجزء الأول سماحة الشيخ حسن الصفار، فيما قدّم للجزء الثاني العلامة الراحل الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، وللثالث العلامة الشيخ حسين المصطفى.

ويختم الشيخ حبيب آل جميع بالقول: "أظهرت هذه البيبليوغرافية في الأجزاء الأربعة من هذا المعجم كثافة مشاركة المرأة في الإبداع الفكري والعلمي والأدبي في المنطقة. وضمّ المعجم عدة كتب ومؤلفات بلغات أجنبية متعددة، كاللغات الإنجليزية والفارسية والأردية والسواحلية والإسبانية والصينية والآذربيجانية".

رؤى شمس الدين: حائزة على إجازة في الترجمة من الجامعة الإسلامية في بيروت. تعمل في مجال الترجمة في مركز أوال للدراسات والتوثيق.
للتواصل عبر الإيميل: roa.shamsedine@gmail.com

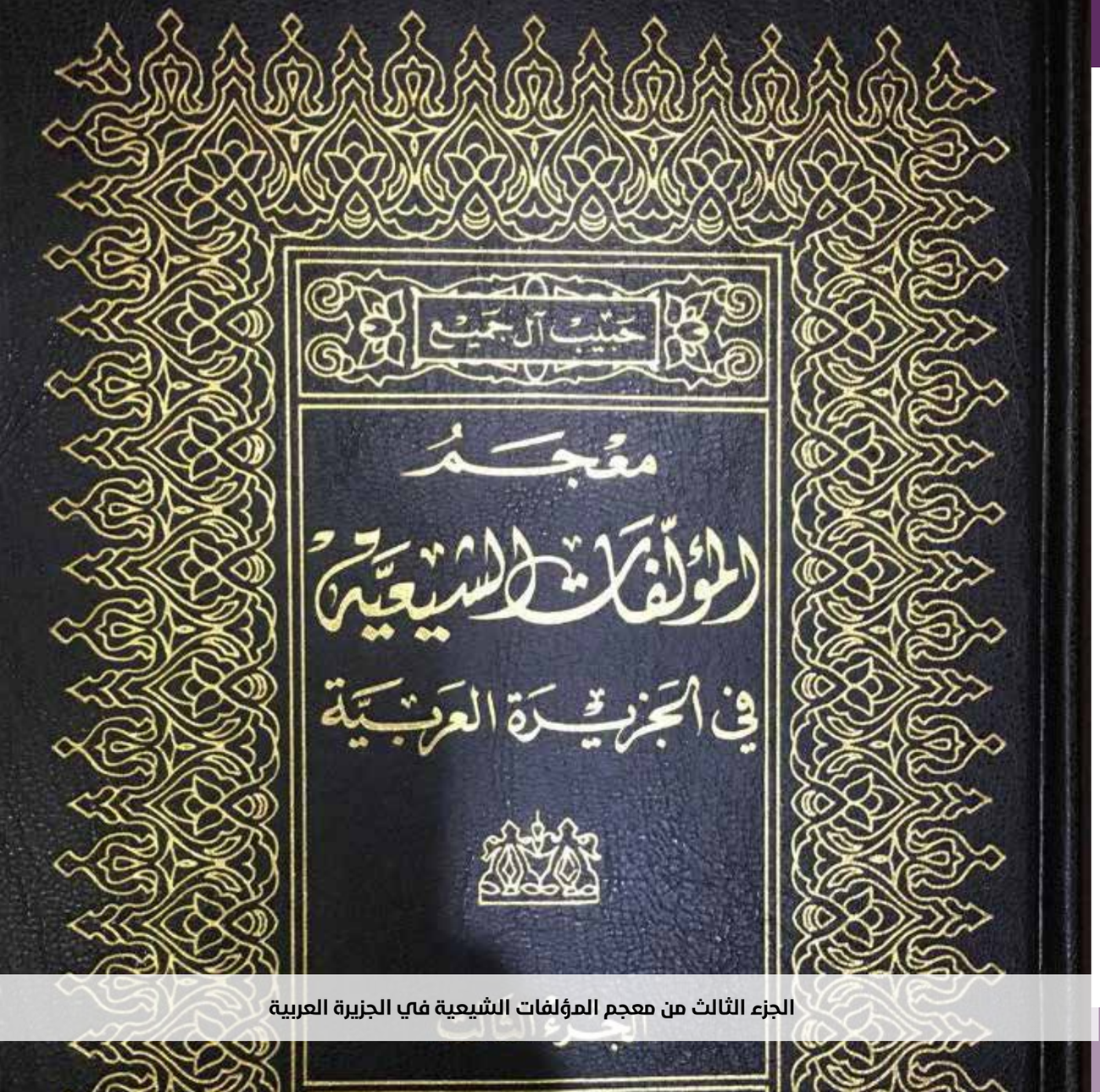

الجزء الثالث من معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية

وثيقة وحكاية

حكاية «شكسبير» لورنس الكويت

د. محمد السلمان

كتبت عنه إحدى الصحف الإنجليزية الصادرة في 23 شباط/ فبراير 1915م، أي بعد مقتله الشنيع في شبه الجزيرة العربية. "كان واحدًا من أولئك الرجال الإنجليز الَّذين شغفوا بالتّصوير. لا شيء كان يخيفه أو يرعبه عن التقاط الصور. عاش من أجل مشروعه، وفرح في التعامل مع الرجال. كلَّما كانت مهمّته تواجه صعوبة وخطورة أكثر، كان ذلك أفضل له. حمل اسمًا إنجليزيًا [شكسبير] لم يكن من السهل إضافة المجد إليه، وعلى الرغم من ذلك نجح في الإضافة".

حكاية وثائق هذا العدد تتمحور حول شخصية إنجليزية من زمن سيطرة الإمبراطورية البريطانية فيما وراء البحار على منطقة الخليج العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين للميلاد. هي شخصية تمتَّعت بحبّ المغامرة والإقدام والتهور أحيانًا، وقامت بمهمات وأدوار تشبه ما قام به الجاسوس الإنجليزي الشهير خلال الحرب العالمية الأولى (لورنس العرب) في منطقة المشرق العربي، حين قام بأكبر عملية خداع للزعماء والقوى الوطنية العربية باستمالتهم للوقوف وراء بريطانيا وحلفائها وكسب تأييدهم ضد القوة التركية، ومعها قوى المحور الأوروبي.

اسم صاحب وثائقنا هذه المرة هو وليم هنري إرفين شكسبير (William Henry Irvine Shakespear)، من مواليد ولاية البنجاب في الهند في 29 تشرين الأول/ أكتوبر من العام 1878م. تولَّت والدته تربيته أكثر من والده الذي كان منشغلًا بعمله الرسميّ ضمن نطاق الإمبراطورية البريطانية في الهند آنذاك، فتعلَّم اللغة الإنجليزية بحكم أصله، واللغة الهندية البنجابية بحكم موطن ولادته وطفولته، فصار ثنائي اللغة[1]، كما أجاد أيضًا الفارسية والعربية بعد ذلك.

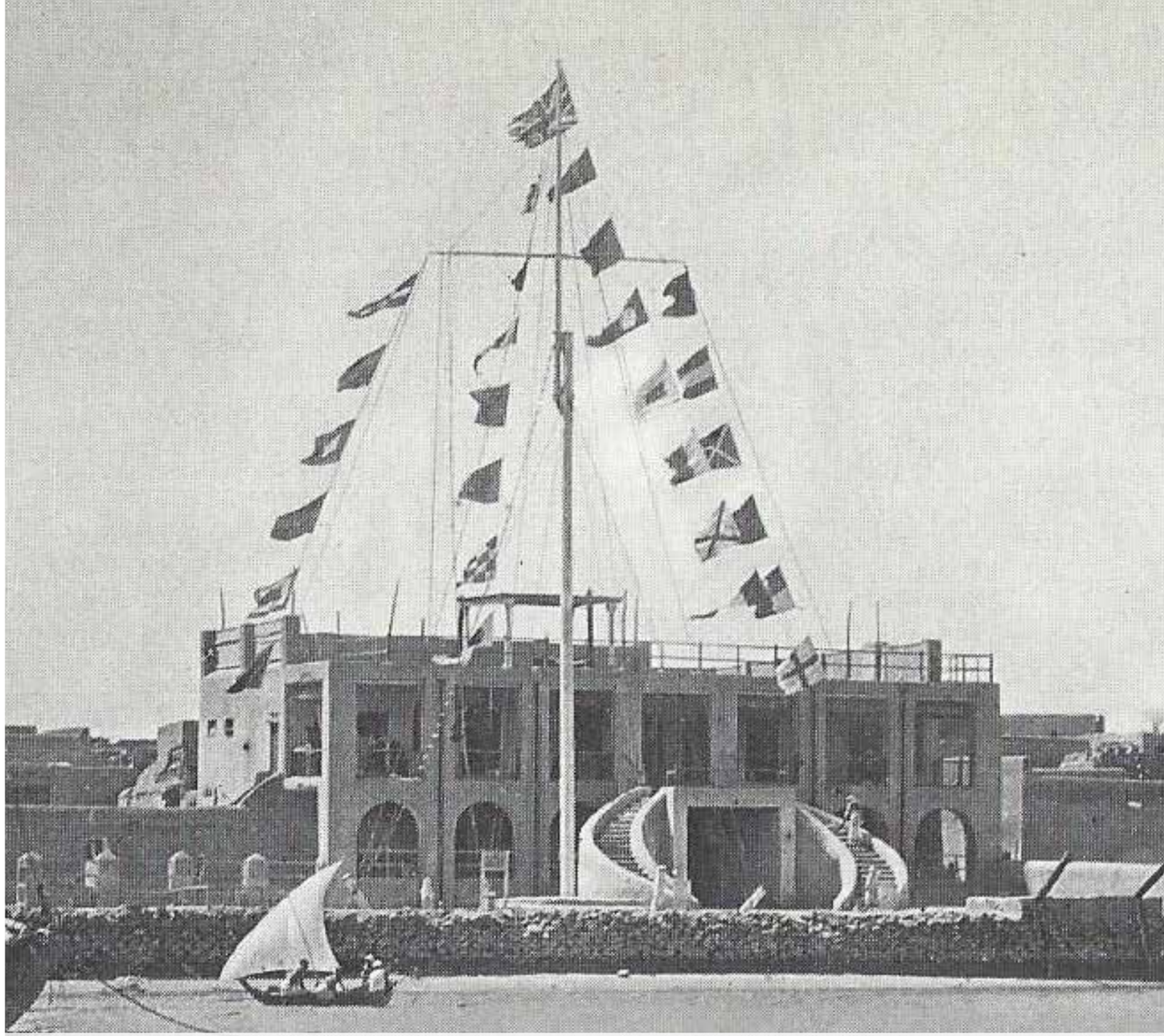

دار المعتمدية البريطانية في الكويت في العام 1909م

كان موظّفًا حكوميًا ومستكشفًا بريطانيًا جاس خلال المناطق المجهولة في شمال شبه الجزيرة العربية. كان له الفضل في أول اتصال بريطاني رسمي مباشر مع الزعيم العربي عبد العزيز بن سعود. وكعادة المسؤولين الإنجليز في تلك الفترة، حين يتم اختيارهم لمواهبهم المتعددة وقدرتهم على إنجاح مهامهم الموكلة إليهم ضمن إطار خطط السيطرة على المنطقة ورموزها، استطاع شكسبير أن يصل إلى منصب المستشار العسكري لابن سعود في الفترة الممتدة بين العام 1910 والعام 1915.

الوثيقة الأولى تقول: "من مبارك الصباح حاكم الكويت الى حضرة عالي الجاه المحب قبطان شكسبير بولتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الانكليزية في الكويت دام بقاه.

غير السؤال عن خاطركم العزيز هو ان يد الوداد اخذت كتابكم المؤرخ في 1 ربيع أول سنة 1330 مطابق 20 فبروري سنة 1912، وبه تذكرون ان حضرة نائب الباليوز صاحب في بوشهر معرف انه واصله تلغراف من كرنل سر برسي كاكس باليوز وقنصل جنرال الدولة البهية القيصرية الانكليزية في بوشهر ذاكرا ان الناس هذه الايام مجتهدين في تسويق السلاح خصوصًا في واجهة الشمال من خليج فارس وانه صار لزوم على مراكب الدولة البهية القيصرية الانكليزية ان يزيد اجتهادهم في قطع ذلك. ويذكر حضرة الباليوز صاحب اننا نساعد في منع هذا الشئ ونشدد على رعايانا يتجنبون عن هذا الشئ نحن على كل حال انشاء الله نساعد حسب الآمر مع انه نحن مواكدين على جميع رعيتنا يتجنبون شيل الاسلحة لا الى طرفنا ولا لغيره وامتثالًا لأمركم ايضًا. بهذه الدفعه كتبنا الى وكيلنا في مسكة السيد يوسف الزواوي جميع سفائن رعيتي اهل الكويت يأكد على النواخذة او صاحب الحلال ان كان انه في سفينته يتجنبون شيل الاسلحة لا لطرفنا ولا لغيرها. والذي يحمل الاسلحة اذا يسلم منه مناور الدولة البهية انه لابد يصير عندي خبر وين ما يوديه احرق السفينة واحبس النوخذا او صاحب الحلال حبس موابد.

هذا ما لزم ودمتم محروسين. 3 ربيع أول سنة 1330"[2].

يتّضح من هذه الوثيقة المرسلة من الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت في تلك الفترة إلى المعتمد البريطاني في الكويت وليام شكسبير، أنها حول عملية مكافحة عملية تهريب الأسلحة إلى الكويت أو خارجها عبر مواطنين كويتيين، وإنزال أشد العقوبات بمن يقوم بذلك من دون علم الحكومة، وذلك بأن يتمّ إحراق سفنه وسجن صاحب السّفن أو المهرّب بحكم مؤبّد.

وليس القصد من إيراد هذه الوثيقة هو الحديث عن تهريب السلاح في منطقة الخليج خلال تلك المرحلة من تاريخه، بل لإيضاح أهمية دور شخصية شكسبير، حتى يخاطبه أمير الكويت الشيخ مبارك الصباح بهذه الكيفية، وهو الذي كان يكره تدخّل الإنجليز في كلّ صغيرة وكبيرة في بلاده، كما كان لا يُحبّذ اعتبار شكسبير بمنزلة مستشار له. أضف إلى ذلك، أنَّ هذا الرجل الإنجليزي كان يُعتبر أصغر نائب في إمبراطورية الهند البريطانية في العام 1904م، وسرعان ما تم نقله للعمل في إمارة الكويت كمعتمد سياسي منذ العام 1909م، وعمره آنذاك لا يتجاوز 30 عامًا، كما ضُمّت إليه البحرين في بداية تلك الحقبة أيضًا، فشارك في تلك الجولات المكوكية بين الكويت والبحرين التي تمت في العام 1911م، من أجل إرجاع أكبر تجار اللؤلؤ في الكويت والخليج (هلال بن فجحان المطيري) إلى الكويت بأمر من الشيخ مبارك الصباح بعد أن هاجر من بلده في حالة غضب عندما توجَّس من عدم تقدير طواويش اللؤلؤ ودورهم في الحركة الاقتصادية في الكويت. كما أنّ شكسبير ترك لنا مجموعة من الصور عن الكويت وشبه الجزيرة العربية عُدَّت من أشهر الصور المعروفة اليوم للمنطقة العربية وبعض حكامها من القبائل العربية التي كانت ترفض التصوير أساسًا، بل وتحرمه.

وضمن عملهم الاستخباراتي التجسّسي المغلّف في ظاهره برحلات استكشافية جغرافية، وهي عادة المسؤولين الأجانب في تلك المرحلة من تاريخ المنطقة، وبحجة الاستكشاف، بهدف إبعاد الأنظار عنهم، كان يتم إنجاز المهمات الرسمية التي يكلفون بها. ولهذا، قام شكسبير بسبع رحلات من هذا النوع في أراضي شبه الجزيرة العربية وصل في إحداها في شهر آذار/ مارس من العام 1914م إلى منطقة العقبة الأردنية على البحر الأحمر قاطعًا حوالى 2900كم، ثم أصبح الصديق المقرب من ابن سعود أمير نجد حينها، وهو أول من قام بتصويره قبل أن تدخل آلة التصوير بين قبائل تلك المناطق البدوية من وسط الجزيرة العربيّة[3].

خلال فترة الحرب العالمية الأولى وأجوائها في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية، وفي يوم 24 كانون الثاني/ يناير من العام 1915م، كان شكسبير ما زال يعمل كمستشار حربي لابن سعود في حروبه العامة، وتوجّه إليه وسط الحروب القائمة، من أجل مفاوضات جديدة معه لصالح الإنجليز ضد العثمانيين. هنا حدثت له مأساة مروعة، فخلال حرب الأمير عبد العزيز ضد أمير حائل ابن الرشيد، كان شكسبير يواصل هوايته في تصوير تفاصيل معركة "جراب" بين الجانبين وكتابة تقرير مفصّل عنها أيضًا وهو في مقدمة المقاتلين.

ورغم طلب ابن سعود منه بأن يتراجع إلى مكان آمن خلف المقاتلين ليتجنَّب الإصابة المباشرة، فإنّه رفض ذلك قائلًا بكلّ

ترك شكسبير مجموعة من الصور عُدَّت من أشهر الصور المعروفة اليوم للمنطقة العربية وبعض حكامها من القبائل العربية التي كانت ترفض التصوير أساسًا، بل وتحرمه.

وليم هنري إرفين شكسبير (1878 - 1914) المعروف بـ "لورنس الكويت"

غرور، وبلسان من يصرّ على إنجاز المهمة الاستعمارية المخطّط لها مسبقًا: "إذا ما تراجعت الآن، فلن أتخلّى عنك فقط، بل وعن وطني أيضًا. لا أستطيع فعل ذلك"، لكنه على هامش تلك المعركة الفاصلة بانتصار ابن الرشيد على ابن سعود، أصيب برصاصة في رجله وتم أسره، ثم توفي مباشرة. وحدث ما لم يكن متوقّعًا، فقد تم قطع رأسه، وسُلِّم مع خوذته إلى السلطات العثمانية المتعاونة مع ابن الرشيد ضد ابن سعود، باعتبار أنَّ هذا الإنجليزي (شكسبير) كان يعاون ابن سعود المتحالف مع الإنجليز ضد العثمانيين في شبه الجزيرة العربية. وإمعانًا في إهانة بريطانيا ورجالاتها العسكريين، فقد عُلِّقت خوذة شكسبير على أحد أبواب المدينة المنورة، وكأنَّ السلطات العثمانية تريد أن تؤكد للمسلمين قضية تعاون ابن سعود مع الإنجليز[4].

هكذا انتهت حياة "لورنس الكويت وشرق الجزيرة" بشكل مبكر، فهو لم يتجاوز 36 عامًا من عمره حين قُتل شرّ قتلة ومُثّل بجسده، حتى إنّ جثّته التي بقيت بلا رأس، تم رميها في الصحراء حيث دفنها البعض هناك. أما شاهد القبر المرفق بهذه المقالة، والموجود على جدار المقبرة المسيحية في منطقة شرق التجارية في دولة الكويت اليوم، فهو ليس إلا صرحًا تذكاريًا، وليس القبر وصاحبه نفسه.

ونختم على غير العادة بالوثيقة الثانية في هذه المقالة، والتي لها علاقة بنهاية شكسبير. ورغم قصرها وقلّة كلماتها، فإنَّ فيها نوعًا من الحدس بقرب النهايات، وقد كتبها للمصادفة بتاريخ 11 كانون الأول/ ديسمبر من العام 1914م، أي قبل حوالى شهر ونصف الشهر من مقتله، إلى خليفته في منصب المعتمدية في الكويت وليام جورج جراي، قال فيها: "إن حدث ولقيت حتفي في الصحراء، أرجو أن تتلطّف بإرسال الرسالتين المرفقتين عندما تسمع بموتي. إحدى الرسالتين إلى والدتي، والأخرى إلى أخي الذي هو مُكلّف بتنفيذ وصيتي. كما أعتقد أنني تركت كل شيء منظمًا لكي لا أتسبّب في الكثير من المتاعب، أو على الأقل حاولت فعل ذلك"[5].

فهل كانت عدم مبالاة شكسبير هذه المرة في مثل ذلك الوضع ضمن حروب الصحراء المكشوفة، هي محاولة انتحار ناجحة لأنه علم باستبدال معتمد آخر به، وكان ذلك ضد رغبته وشعوره الداخلي؟ لا نملك الإجابة على مثل هذه الفرضية التي جاءت على شكل سؤال يحتمل إعادة البحث من جديد في مقتل شكسبير - لورنس الكويت.

المراجع:

1. انظر:

Winstone, H.V.F., Captain Shakespear (London,1976), pp. 2930-.

2. دشتي، عيسى يحيى عبد الرسول، الكابتن وليام شكسبير المعتمد البريطاني في الكويت 1909-1915م، الكويت، 2016، ص 128.
3. المرجع نفسه، ص 11.
4. انظر:

Winstone, H.V.F., Captain Shakespear, pp. 207209-.

5. انظر:

Winstone, H.V.F., Captain Shakespear, p. 198.

د. محمّد السّلمان: باحث بحريني متخصّص في التاريخ، أعدّ أطروحة دكتوراه في جامعة «هال» البريطانية حول المظاهر السياسية والاقتصادية للحكم البرتغالي في الخليج. صدرت له مجموعة من الكتب التاريخية والترجمات.

للتواصل عبر الإيميل: adoommoon@gmail.com

بعض الصور التي التقطها شكسبير وتم استخدامها في الطوابع في الكويت

شاهد تذكاري لوليم هنري إرفين شكسبير في الكويت

ذاكرة الصورة

شارع الحمرا: الحبّ باقٍ هنا

تغريد الزناتي

مع بداية القرن الخامس عشر ميلادي، بدأ المواطنون من مناطق الشمال والجبل بالتوافد إلى زقاق قريب من الشاطئ البيروتي ليعتاشوا من صيد الأسماك، ومنهم من استغلَّ التربة الحمراء في الزقاق هذا لينتج منه أنواعاً فاخرة من الفخار (أباريق وأطباقاً وأدوات أخرى). تلت هذه الأعمال عمليات البيع والشراء، لينقل المنتجون مسكنهم إلى أماكن الاسترزاق، وتتأسَّس العقارات المتواضعة، ومنها كانت البداية.

بدايةً، كان الشّارع زقاقاً: زقاق الحمرا. سكّانه من صيادي الأسماك والمزارعين. طبعاً، مثل بدايات باقي المناطق البيروتية (راجع أعداد أرشيفو السابقة - ذاكرة الصورة)، ما لبث أن كثُر فيه السكّان، وتوسَّعت فيه الأعمال السكنية فالتجارية، فأضحى من أكثر شوارع بيروت ازدحاماً ونمواً.

النهضة الكبرى

تعود نهضة شارع الحمرا إلى تأسيس الجامعة الأميركية في بيروت في العام 1866، التي أدخلت إليه صرحاً ثقافياً ممتازاً جعل من المتعلّمين وطالبي الثقافة والمعرفة يتوافدون إليه من كلِّ جنب.

تعود تسمية "شارع الحمرا" إلى روايتين: الأولى تقول إنَّ الشارع سُمّيَ باسمه تيمناً ببني الحمرا، وهي عائلة بقاعية عملت في بيع الغلال فيه، ومنها تحدَّرت أهم العائلات البيروتية، كآل عيتاني وآل اللبان. والرواية الأخرى تقول إنّ تسمية الشارع كانت تيمّناً بلون التربة الموجودة فيه، وهي كانت عبارة عن رمال حمراء "تلهب أرجل سالكيها في الصيف، وتغرقهم بالوحول في الشتاء".

يمتدّ شارع الحمرا على طول 1300 متر في قلب بيروت، واصلاً وسط بيروت بمنطقة رأس بيروت. يحدّه من الشمال شارع

جدارية للمطربة اللبنانية صباح في شارع الحمرا الرئيسي

"بليس"، حيث تقع الجامعة الأميركية، ومن الجنوب شارع "سبيرز".

البريق المفقود

يسعى "أوفياء شارع الحمرا" غالباً إلى التمسّك بالمقاهي القديمة التي تحدّه عند جوانبه. يتنشقون رائحة الشارع القديم في زواياها. وعلى طاولاتها الخشبية كثيراً ما تجد أسماء العشاق، وتواريخ من دون دلالات، أو رسمًا لقلب غير متوازن الأطراف، أو الأحرف الأولى من اسمين، بقيت هنا ذكرى عن وجودهما إلى الأبد. من يصرّ على زيارة هذه المقاهي تؤنسه القصص التي تجوب خياله عندما يرمي بنظره على بقايا من الزمن الماضي، كمن يتلصّص على حكايات غيره من الناس، ويحاول تارة الاستماع إلى وشوشات العشاق، وتارة أخرى تخيّل النقاشات التي دارت بينهم.

كثيرة هي التغيرات التي طرأت على شارع الحمرا. الصدمة التي وقعت مؤخراً كانت عند إغلاق مقهى "دو براغ" في شارع المقدسي، وقبله مقهى "كافيه بين" عند المدخل الرئيسي، وبعده اعتزال مقهى "كوستا" عن كونه بوصلة زائري الحمرا. لا بد من أنها صدمة حالية مماثلة لتلك التي أصابت الجيل السابق في ستينيات القرن الماضي عند إغلاق مقهى "المودكا" ومقهى "الويمبي" ومقهى "هورس شو"، حيث كان مثقفون لبنانيون وعرب يجتمعون، ويخوضون نقاشات حادة عن الأوضاع السياسية، ويملأون هذه المساحة جدلاً وتحليلات للأوضاع العامة.

ما هو شارع الحمرا؟

بعيداً عن الجغرافيا، يقوم شارع الحمرا على ركائز تجعل منه الشارع المثالي لأي إنسان، حقاً! أولاً، إنّ الشارع يحتوي كلّ ما يجول وما لا يجول في البال. منه تستطيع أن تتزوّد بكل احتياجاتك، مادية كانت أو معنوية أو خدماتية.

يمكنك أن تتبضّع من المحال التجارية ثياباً وأقمشة وأكسسوارات، من دون أن يهمّك دخلك الشهري أو المستوى الاجتماعي الذي تنتمي إليه، لأنَّ الشارع فيه من المتاجر ما يناسب شرائح المجتمع بأجمعها، من أهم الماركات إلى أكثرها تواضعاً.

كذلك، باستطاعتك أن تحتسي كوباً من القهوة في المقهى الأقرب إليك، وأن تتناول وجبة طعامك المفضل، لبنانياً كان أو عربياً، إيطالياً أو أميركياً، وبالأسعار التي تناسبك.

يضمّ شارع الحمرا مكاتب لشركات تجارية، اقتصادية، خدماتية، فنادق، مطاعم، ومصارف، مكتبات، مراكز تجميل... ويؤمّن نسبة عالية من الوظائف. تراه مزدحماً عند الساعة الثامنة صباحاً، فتشعر كأنه ينفجر لكثرة ما يستقطب من عمال يهرولون إلى مكاتبهم، وطلاب يتّجهون نحو مقاعد الدراسة.

يضمّ شارع الحمرا ستّ كنائس وأربعة مساجد. التنوّع في الحمرا ليس شكلياً، هو في الحقيقة يتجلّى في الشكل وفي المضمون. لا ترى الحمرا أبداً مصبوغة بلون معيّن دون آخر، يزورها أبناء البلد كلّهم، أشخاص يختلفون في العقيدة وفي الذوق وفي المعتقد والأفكار، وكلّ منهم لديه حاجات ينجح في إشباعها هنا قبل أن يعود من حيث أتى.

الحركة التجارية التي لا تهدأ نهاراً في الحمرا، لا تهدأ أيضاً ليلاً، والمقاهي التي تستقبل الرواد لكوب القهوة صباحاً، تستمرّ بتقديمه حتى ساعات متأخّرة من الليل. يضاف إلى المنطقة ليلاً من يخرج للسهر ولتمضية الأمسيات الجميلة. بعض المطاعم تقدّم سهرات شرقية، وأخرى تلبس ثوبًا أجنبيًا. وكالعادة، الأذواق كلّها راضية.

الفنّ يستمرّ هنا

منذ نشأته، كان للفنّ حصّة الأسد في شارع الحمرا. هنا، كان مسرح البيكاديللي الذي افتُتح في تشرين الثاني/ نوفمبر 1966، وأُغلق في العام 2000 بعد أن شبَّ فيه حريق. هنا قدّمت فيروز أول مسرحية غنائية هي "هالة والملك" في كانون الثاني/ ديسمبر 1967، و"ميس الريم" في العام 1975. هنا كانت الفنانة داليدا في العام 1972، وغيرها من الأمجاد الكثير.

عند أول شارع الحمرا، يبقى مسرح المدينة يقدم أعمالاً فنية في المسرح والغناء، وإلى جانبه مترو المدينة الذي يقدم أيضاً أمسيات فنية، ولا يزالان يجهدان في محاولة الحفاظ على الصورة الثقافية للشارع؛ الصورة التي طغت عليه في "أيام العز" في ستينيات القرن الماضي.

عند القسم الأول من شارع الحمرا، تحديداً عند مقهى "كوستا" سابقاً (الذي تحوَّل اليوم إلى مقهى "روسّا")، تجد جدارية ضخمة للمطربة صباح؛ وجهاً ضاحكاً من عمل الفنان يزن حلواني (25/12 مترًا). لوحة عملاقة تعلو الشارع مثبتة هُويته الثقافية في وجه المدّ التجاري الاستهلاكي الذي يحاول السيطرة على حياة الشعوب اليومية.

والمقاومة أيضاً

في 24 أيلول/ سبتمبر من العام 1982، قام خالد علوان بعملية ضد الاحتلال الإسرائيلي في بيروت. قُتل يومها أربعة ضباط إسرائيلين في مقهى "الويمبي"، في ما عُرف لاحقًا بعملية "الويمبي"، التي كانت فاتحة انطلاقة جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية (جمول). تلت عملية الويمبي عملية انسحاب تدريجي للجيش الإسرائيلي من المنطقة.

أصداء

لا شكَّ في أنَّ شارع الحمرا هو ملتقى كلّ من يزور بيروت، عربياً كان أم أعجمياً. يصف يحيى من الأردن شارع الحمرا بأنه حيويّ وجميل. ويقول إنّ الزائر يمكنه السير على امتداد الشارع من دون الشعور بالتعب. أما مجلة "لوس أنجليس تايمز"، فوصفت الشارع بأنه "أهم منطقة متحرّرة في لبنان".

تحرّر منطقة الحمرا وتنوّعها، إضافةً إلى الخدمات التي تقدمها، دفع بالكثيرين إلى إطلاق اسم «شانزيليزيه» الشرق عليها.

شارع الحمرا في بيروت

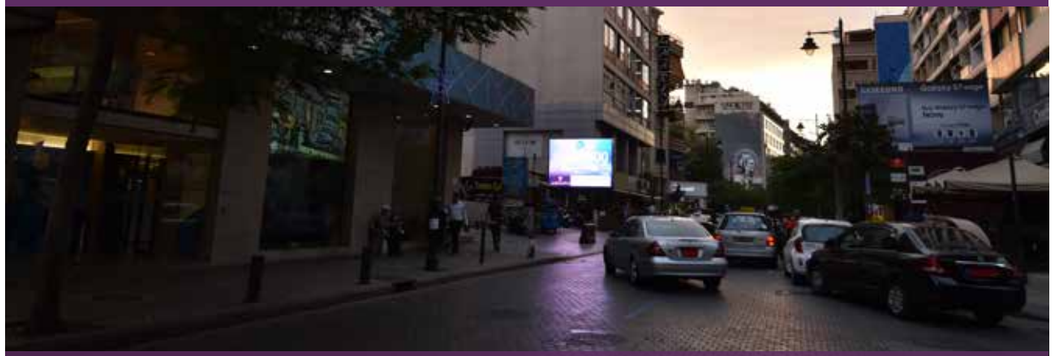

شارع الحمرا الرئيسي في بيروت

إنّ تحرّر منطقة الحمرا وتنوّعها، إضافةً إلى الخدمات التي تقدّمها، دفع بالكثيرين إلى إطلاق اسم "شانزيليزيه" الشرق عليها.

وحده الحبّ لا يتغيّر

تُقفل محال وتُفتتح أخرى. تغلق مسارح ويبقى الفن، لأنه ينبع أصلاً من الداخل. أما قصّة حبّ شارع الحمرا، فتبقى دفء الأخير. حرارة المقاهي التي تزيّن جوانب شوارعه، ورائحة القهوة التي تنبعث منه بشكل مكثّف عند هطول المطر فوق الأرصفة الضيّقة، تبقى كلّها حارساً أبدياً للحبّ الذي لا يموت في شارع الحمرا. هو صورته الأصلية التي لا تتغيّر.

تغريد الزناتي: حائزة على ماجستير في الإدارة والمعلومات، وتعمل في قسم أرشيف جريدة الأخبار اللبنانية منذ العام 2013.
للتواصل عبر الإيميل: taghridzinaty@hotmail.com

أحد المباني القديمة في شارع الحمرا

شارع الحمرا في بيروت ليلًا

بعض المقاهي المنتشرة في شارع الحمرا

أحد شوارع الحمرا الرئيسية

كشكول

جعفر السويدي.. أرشيف الصورة في قرية الدير

"من يملك الصّورة يملك الدّليل". بهذه الجملة، كان جعفر السويدي يفتتح سيرته التي هي سيرة أرشيفه الذي حفظ فيه وجوه قرية الدير طوال السنوات الخمسة والثلاثين الماضية.

أرشيفه هو الشاهد الأكثر دلالة على ما كانت عليه القرية وما كان فيها. يحتفظ به ويتحفَّظ عليه حد الحرص المبالغ فيه. يبدو كمن يملك وحده دليلًا على حياة أو موت ويخشى عليه من الضياع، كي لا يضيع الشاهد الذي سيروي لمن سيأتي بعده هذه الحياة أو الموت. كان يحدّق في وجوه القرية وهي على وشك أن تغادر حياتها القديمة إلى حياة جديدة. أراد لهذه الحياة الجديدة أن تكون بذاكرةٍ ضوؤها متوهّج الصّور.

كيف كوّن جعفر السويدي دليله؟ وما الوجوه التي يدلّ عليها؟ وما قيمة هذا الدليل للقرية اليوم؟

يروي من دون أن تسعفه ذاكرته لتذكّر السنوات: كنا خمسة أصدقاء تجمعنا القرية والمدرسة؛ سلمان هلال وشريف السيد حسن وعلي داوود وعباس جعفر أحمد وأنا. قرَّرنا أن يدفع كلّ منا يوميًا 25 فلسًا من مصروفه الشخصي من أجل شراء كاميرا تصوير ضوئي. حين بلغ رأس المال 800 فلس ذهبنا إلى استوديو المحرق للأفلام الملوّنة، ومن هناك امتلكنا لأول مرة كاميرا تصوير بقيمة 800 فلس. ظللنا نجمع 25 فلسًا من أجل شراء أفلام الأسود والأبيض وتحميضها. صوَّرنا طفولتنا الشقية، وظلَّت الكاميرا تنتقل بيننا، والصّور كذلك. وفيما كان زمن الهواية ينتهي في نفوس أعضاء شركة كاميرا 800 فلس، تفرَّدتُ بينهم باستمرار هوى الصورة في روحي، ورحت أمعن في هواها.

حين بدأت الألوان تفصل تقاسيم الصورة، لم أجد شركة أكوِّن من خلالها رأس مال يمكّنني من شراء كاميرا ملوّنة،

جزء من أرشيف جعفر السويدي

ولأني كنت أذهب بعيدًا في شغفي بالصورة وهي تؤرشف الوجوه وحياتها في القرية، فقد استعنت بكاميرات الأصدقاء؛ كاميرا حسن عيسى وإبراهيم عباس سلمان. كانا كريمين معي، وأنا مدين لهما بهذا الكرم. بدأت صوري الملوّنة من عدستيهما. وعندها بدأت أؤرشف ألوان القرية. صارت صوري ملوّنة على الرغم من أنَّ القرية كانت ذات لون واحد، لكنك حين تلوّنها تبدو أكثر استجابة لضوء الشمس.

بعد شركة 800 فلس، وبعد عصر الاستعارات، صارت لي كاميرا خاصَّة، إنها كاميرا "ألمبس" (Olympus) ذات الفيلم المزدوج، التي تمكّنك من أن تجعل فيلم 36 صورة فيلم 72 صورة. اشتريتها في نهاية السبعينيات، وبدأت رحلتي المستقلة في أرشفة تاريخ الناس في قرية الدير.

لم تكن الكاميرا هي المشكلة الوحيدة في إنجاز هذا الأرشيف، فالكاميرا لا تشتغل في ضوء الشمس وحده، لكنها تشتغل في ضوء الثقافة أيضًا، وهو ضوء لا يمكنك أن تتجاهل تأثيره في صورتك، بل هو الذي يتحكَّم في وجودها وعدمه. كان ضوء ثقافة القرية في ذلك الوقت، يجد في ضوء الكاميرا انتهاكًا لمحرم، كما كان يجد في صوت الميكروفون انتهاكًا لمحرم. إنها الثقافة الإخبارية التي أرسى الشيخ إبراهيم المبارك تقاليدها في القرية.

عليك أن تخفي ضوء كاميرتك وإلا أحرقه ضوء الثقافة، إنه أقوى من أي ضوء، يتحكَّم في ما تصوّره وما لا تصوره، وفي ما يستحقّ التصوير وما لا يستحقّ التصوير، وفي الحدود التي يمكنك أن تصلها بضوء كاميرتك، ويتحكَّم في ما يمكنك أن تعرضه من صور اختلستها كاميرتك على حين غفلة.

كنت أجد في وجوه كبار السن صورة القرية الأكثر تهديدًا بالنسيان. وجوههم دليل القرية؛ الدليل الذي يمكنه أن يخبرنا عن الذين مرُّوا من هنا. كانت هذه الوجوه هي الأكثر ممانعة، فهي الوجوه التي يشعّ منها ضوء ثقافة القرية كأقوى ما يمكن. لذلك، لم يكن ضوء كاميراتي يلتقط طبقات ضوء وجوههم إلا على وجل وخوف. كنت أكمن لهم خلف الجدران وخلف النخيل وخلف وجوه الشباب، كنت أرقب رجلي أكثر مما أرقب عدستي، لأنَّ الصورة تحتاج إلى رجلي أكثر، فما ينتظرني هو الفرار بأقصى سرعة ممكنة من موقع التصوير كي لا يكتشف وجه مضاء بثقافة المنع ضوءك فينالك النَصَب.

لن تجد في أيٍّ صورة من صور وجوه أرشيفي وجهًا ينظر في عدستي، ولا جسدًا يتهيأ لجسد كاميراتي، جميعهم لا ينظرون، بل يتهجسون طريقهم. هذا ما يجعل التصوير مغامرة محفوفة ليس بوجوه الناس، بل بوجوه المخاطرة. الوجه لا يسلّمك ضوءه الخاص في ثقافة تتحفَّظ على بصيص ضوء يأتي من غير جهة الشمس.

في المغامرة يكون الوقت مفتوحًا على التوقّع، لا تدري متى ستحين اللحظة المناسبة التي تمكّن ضوءك من التقاط حركة ضوء الوجه. في مغامرتي لتصوير الحاج حسن علي كاظم، بقيت ساعتين أترقَّب خروجه من المسجد ظهرًا حيث يكون الممر الذي يسلكه خاليًا من المارة والوشاة، كنت أتحيّن لحظة توحّده في الممرّ ظهرًا. ظللت أرقب المكان طوال هاتين الساعتين وأنا بين تهيئة الكاميرا وإخفائها، وبين الخوف والقلق، وبين التعويل على ضعف بصره والحذر من قوة بصيرته. ما زالت الصّورة تؤرشف ليس فقط وجهه الأبيض المشوب بحمرة جميلة، بل ما زالت تحتفظ بأرشيف حالتي لحظة تصويره. لذلك، فإنَّ أرشيف الصورة يحتفظ بضوء الوجوه وضوء ثقافتها. إنها دليل على الضوء وثقافته.

المغامرة الأكثر إثارة كانت تصوير خالي الذي كان بمثابة الوالد حجي علي النير وزوجته وقطّته فوق سفرة الغداء. لا شارع هنا أتخفّى فيه. إذا كانت الكاميرا تأثم مرة بانتهاكها ضوء الوجه، فإنها تأثم مرتين حين تنتهك ضوء وجه امرأة أو شيئًا من جسدها، مهما كان هذا الشيء قد بالغ في تستره. كانت الألفة التي تجعل من القطة تأكل على السفرة نفسها التي يأكل عليها خالي وزوجته مثيرة لضوء كاميراتي. وجدت فيها بحسّي الأرشيفي أنها ستكون دليلًا على ألفة هذه الحياة التي توشك أن تتحول إلى ألفة أخرى ربما لا يجتمع فيها اثنان على مائدة واحدة، فضلًا عن أن تجتمع معهم قطة وديعة.

وجدت أنَّ الاختباء أسفل سرير غرفتهما قبل الغداء بمدة سيمكّنني من التقاط الصورة من مسافة أكثر ألفة لسفرتهم. كان الجو صيفًا. وحين ضرب ضوء الفلاش عيونهم علَّق خالي: "يا سبحان الله، ما هذا البرق في الصيف!". أغراني تعليقه بأن آخذ أكثر من صورة لمائدتهم التي لم تكن تعرف البرق بقدر ما كانت تعرف السكينة.

كان خالي الصديق المقرب جدًا من الشيخ حسين ومن ثقافته الإخبارية المحافظة، وهذا ما ضاعف من مغامرة تصويره. كانت وجوه كبار السن هي الوجوه الأكثر استعصاءً على التصوير. أما وجوه النساء، فقد كانت خارج الضوء. حين بدأت المدارس تفتح ضوءها للجيل الجديد، صارت الصورة تأتيني. صرت معروفًا في القرية بأنني أحتفظ بالصور الشخصية التي كانت في حينها غير ملونة. كان ضوء المدارس يلتقط ضوء الوجوه الشابة من غير حاجة إلى مغامرة. لم أكن أذهب إلى هذه الوجوه، كنت أضعها في أرشيفي في ألبوم خاص، كما كنت أضع صور وجوه كبار السن في ألبوم خاص. كلّ ألبوم يحكي ضوء جيل مختلف.

لقد لاحقت بكاميرتي "ألمبس" (Olympus) آخر ما تبقى من وجوه القرية: الأعراس القديمة حين كانت فرق الغناء الشعبي والليوه جزءًا أصيلًا من الحفل، وبساتين القرية قبل

لن تجد في أي صورة من أرشيفي وجهًا ينظر في عدستي أو جسداً يتهيأ لكاميرتي. جميعهم لا ينظرون، بل يتهجسون طريقهم!

كاميرا ألمبس (Olympus) ذات الفيلم المزدوج

أن ينالها التصحّر، والغزو العمراني، وسواحل القرية قبل أن يصادرها الدفّان، وبعضًا من عيون القرية، وجزيرة خصيفة قبل أن تتحول إلى قاعدة عسكرية، والألعاب الشعبية، ومساجد القرية ومآتمها ومقبرتها وعمرانها، وبدايات صحوتها الدينية.

لقد كانت وجوه الناس كلها في أرشيفي، وهذا كان مصدر قلق وخوف بالنسبة إليَّ دومًا، وخصوصًا حين تشتد الأحداث السياسية وما يرافقها من إجراءات أمنية، حتى إني اضطررت في إحدى السنوات إلى دفن جزء من أرشيفي تحت الأرض خوفًا عليه وعلى وجوه الناس التي فيه من أن ينالها ظلام لا ضوء بعده.

في بداية الثمانينيات، حين بدأت الكاميرا ترصد الحركة. استعنتُ بكاميرا فيديو، وسجَّلت ثلاثة أفلام وثائقية؛ الأول عن الألعاب الشعبية في القرية، والثاني مقابلات مع من تبقى من رجالات الغوص، والثالث عن رحلة مع بحارة قرية الدير، صوَّرت فيها عملية جمع الطحالب (الحشيش) وتجهيزه وإيصاله إلى السفينة، ثم عملية الإبحار التي تستغرق 14ساعة، وما يبذل فيها من عمل وجهد بأيدٍ بحرينية خالصة.

(أرشيفو)

كان السويدي مختبئًا تحت السرير حين التقط هذه الصورة لحجي علي النير وزوجته في ثمانينيات القرن الماضي

كيف تجعل جدّتك مجرمة حرب؟ ابدأ حكايتك من «ثانيًا»

غنى مونس

في محضر التّاريخ، تُسعفنا الرؤى وتنقصنا المعجزات. نقف أمام كل جانب من جوانبه متسائلين: كيف نكتبه؟! تتراءى أمامنا المدارس والنّظريات، وتختلط بها الوثائق والحكايات التي ينقلها الأبناء عن الأجداد، لتلتهمنا الحيرة في وجه ما نطالعه: أي منهج علينا اتباعه؟ وما المعايير التي يتوجّب علينا الالتزام بها في بحثنا عن الحقيقة؟ وكيف يمكننا الوصول إليها في حين تتجاذبنا أقطاب مثلث الزمان والمكان والإنسان؟

"التاريخ قطعة نرد"، هكذا يصفه الكاتب المنتمي إلى أميركا اللاتينية إدواردو غاليانو[1]، الّذي يحكي لنا في كتبه أنّ بناء معبد الإله آرتميس في أفسس (Ephesus) استغرق مائة وعشرين عامًا، وكاد يصبح من عجائب الدنيا لولا إزالته.

في ليلة 21 تموز / يوليو من العام 356 قبل الميلاد، قام رجل يُدعى هيروستراتوس بإحراق المعبد الضخم في محاولة لتخليد اسمه في التاريخ. تحوّل المعبد إلى رماد في ليلة واحدة. لم يحفظ التاريخ رسمه، ولا اسم الذي أبدعه، بل خلّد اسم "هيروستراتوس" الحارق الذي هدم ذاكرة ليُخَلّد ذاته، وقد نجح في ذلك.

دخل غاليانو التاريخ من أوسع أبوابه، بحثًا عن هيروستراتوس وأشباهه. لم يتحرَّ الموضوعية، ولا اتبع منهجية محددة. شكّك وتساءل من خلال الرواية. كرّس نفسه لتشريح واقع يجده مزيفًا، وأماط اللثام عن ذاكرة مسروقة بدعاوى العولمة القادمة من أوروبا وأميركا. تحرّر من كل السّلطات من دون أن يرى في نفسه معلّمًا، فهو لا يدرّس أحدًا، بل "يحكي القصص المنسيّة التي تستحقّ أن تُروى".

التأريخ والموضوعيّة

لطالما طالعتني مقولة "التاريخ يرويه المنتصرون". وبالتّأمل في أبعادها، وجدت أنها حقيقية بعض الشيء، فالروايات التي تصلنا عن الحروب والفتوحات والصراعات والمجازر تكون مصبوغة بوجهات نظر رواتها. لذلك، من النادر أن نجد اتفاقًا على رواية واحدة لحدث ما. هناك حلقة مفقودة دائمًا في مكان ما، وإن أردنا الحقيقة مجردة من كل الصبغات والإسقاطات، فعلينا أن نعيد فتح ملفات تحقيق جديدة في الأحداث، لنستمع إلى الرواة ذاتهم، ونقابل رواياتهم بروايات الآخرين.

لن أغوص في إشكاليات التاريخ القديم، لصعوبة الأمر. أُدرِك جيدًا أنه لن يتمكّن أحد من إجراء مقابلة مع الإسكندر المقدوني، أو الاستفسار عن تفاصيل فتح الأندلس على سبيل المثال، بغية مقابلة رواية الأحداث التي نتناقلها نحن العرب، برواية أخرى يُسَمى فيها المسلمون[2] Moros، ويُتّهمون باستعمار البلاد ونهبها، وقد أشار إلى ذلك الممثل دريد لحام في مسرحيته الشهيرة "كاسك يا وطن": "بإسبانيا كنّا نحنا الاستعمار".

لن يتمكّن أحد، إلا عبر آلات السفر عبر الزمن [ما لا نشهده إلا في الروايات وأفلام الخيال العلمي] من سبر ما حصل فعلًا والتيقّن منه، لكننا حاضرون الآن، نشهد جيدًا ما يحدث أمامنا، وقادرون على محاولة التثبت منه: أقول المحاولة وليس "التثبّت" بحدّ ذاته، لأنّ هناك دائمًا وجهة نظر أخرى.

كيف يُكتَب التاريخ؟

مرّت البشرية بعشرين ألف عام من التّاريخ، دُوِّن برسم على جدران كهف، أو بالكتابة المسمارية، أو النقوش على جدار معبد فرعوني. تلا ذلك رسائل البردى والوثائق المخطوطة، وجاءت بعدها الكتب والصوتيات والأفلام، لكن هذه الأدوات كانت دائمًا بيد النّخبة التي احتكرت رواية التّاريخ، وفي وجهها، برز مثقفون وكتاب ومؤرّخون، لم يحظوا بالنفوذ ذاته، وحاولوا التصدي لتلك المحاولات على مدى العصور.

مع ذلك، برزت إشكاليات تناولت الطرق المختلفة لكتابة

إن أردنا الحقيقة مجردة من كل الصبغات، فعلينا أن نعيد فتح ملفات تحقيق جديدة في الأحداث، لنستمع إلى الرواة ذاتهم، ونقابل رواياتهم بروايات الآخرين.

معبد آرتميس وهو من عجائب الدنيا السبع القديمة.

التاريخ، وكيفية تعديل الحقائق فيه أو تشويهها أو حتى طمسها، ويتجلّى ذلك واضحًا حين نطالع البيانات السّياسية للإسرائيليين على سبيل المثال. يكفي أن يطّلع أحدنا على خطاب لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في حديث عن فلسطين في الأمم المتّحدة، ففي خطابه الأخير فيها يقول: "إنّ مواطني إسرائيل العرب يصوّتون في انتخاباتنا، ويخدمون في برلماننا، ويشتغلون لدى محاكمنا، ويتمتّعون بالقدر نفسه من الحقوق الفردية الممنوحة لجميع المواطنين الآخرين في إسرائيل. ولكن هنا في الأمم المتحدة تُتهم إسرائيل بشكل مخزٍ بممارسة الفصل العنصري. حاليًا، يفوق عدد الفلسطينيين عددهم في العام 1948، وهو عام إقامة دولة إسرائيل بخمسة أضعاف على الأقل. ورغم ذلك، تُتهم إسرائيل في الأمم المتحدة بشكل شنيع بممارسة التطهير العرقي". معه، تصبح إسرائيل هي الضّحية، والفلسطينيون هم الجلادين.

للكاتب والشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي وصفة تساعد على ذلك. أُصيب بالصدمة في أعقاب سماعه رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين في أحد خطاباته، فعبّر عن ذلك بالقول: "رابين سلبنا كلَّ شيء، حتى روايتنا لموتنا".

ألم البرغوثي انحفر عميقًا في ذاكرته: "ما زلت أتذكَّر كل كلمة قالها إسحاق رابين في ذلك اليوم[3]: نحن الجنود العائدين من الحرب، ملطّخين بالدماء، رأينا إخواننا وأصدقاءنا يُقتَلون أمامنا، وحضرنا جنازاتهم عاجزين عن النّظر في عيون أمهاتهم. اليوم نتذكَّر كلّ واحد منهم بحبٍّ أبديّ".

تجاوز رابين الوقاحة، بل كلّ شيء سيئ، بأشواط في خطابه، إذ احتلَّت إسرائيل، كعادتها، دور الضحية، وكان الفلسطينيون القتلة. قدّم رابين الدور الإسرائيلي على أنه تنازل لصالح الفلسطينيين حين قال إنَّ "توقيع إعلان المبادئ ليس سهلًا بالنسبة إليَّ كمحارب في جيش إسرائيل، وفي حروبها، ولا لشعب إسرائيل، ولا لليهود في الدياسبورا"[4].

من ذلك الألم العميق، خرج البرغوثي بوصفته الأمثل لكتابة التاريخ. يوضح جيدًا في سيرته الذاتية "رأيت رام الله"[5] كيفية القيام بذلك: "يمكنك طمس الحقيقة بحيلة لغوية بسيطة: ابدأ حكايتك من "ثانيًا"!".

نعم، لطمس الحقيقة، ليس فقط في ملف الصراع العربي - الإسرائيلي، بل في كل الصراعات التي انتُهِكت فيها ذاكرة الشعوب، يمكنكم بكل بساطة القيام بما قام به رابين: أهملوا "أولًا". أَضفُوا كما "إسرائيل الضحية، على السكين الساخن الملون، وميض الصفح!"، ابدؤوا بـ"ثانيًا"، وبيّضوا سجلات انتهاكاتكم كلّها. قولوا ذلك وصوّروه "ببيان مبهر، وإن من البيان لسحرًا".

يستفيض البرغوثي في شرح آثار "ثانيًا" في إدراك الشعوب وتشكيل ذاكرتها. بها "تصبح سهام الهنود الحمر هي المجرمة الأصلية، وبنادق البيض هي الضحية الكاملة!"، و"يصبح غضب السود على الرجل الأبيض هو الفعل الوحشي!".

كذلك، "يصبح غاندي هو المسؤول عن مآسي البريطانيين!"، و"يصبح الفيتنامي المحروق هو الذي أساء إلى إنسانية النابالم!"، "تصبح أغاني فيكتور هارا[6] هي العار، وليس رصاص "بينوشيه" الذي حصد الآلاف في إستاد سانتياغو!".

بـ "ثانيًا" هذه أيضًا، يصبح آرييل شارون وأمثاله ضحايا، و"ستّه لمريد" [جدّته] أم عطا، هي المجرمة، ومعها جدّاتنا جميعًا!

المراجع:

1. كاتب من الأوروغواي، من أبرز الذين تناولوا تاريخ أميركا الشمالية. يوصَف كتابه "الشرايين المفتوحة لأميركا اللاتينية: خمسة قرون من نهب القارة" بأنه "إنجيل المعذبين والمقهورين في قارة أمريكا الجنوبية"، و"إنجيل الثوار"، لأنه يساهم في إنقاذ الذاكرة المخطوفة لتلك الأرض المحتقرة والمحبوبة، كما يُحِب هو أن يسميها.
2. يُعرَفون أيضًا بـ"Les Maures" باللغة الفرنسية. ومن بين الذين ذكروهم الكاتب الفرنسي الكبير بيير كورني في مسرحيته "السيد".
3. جزء من كلمة إسحاق رابين في اتفاق أوسلو. جرت المفاوضات بسرية تامة تحت رعاية النروج، ووُقِّع الاتفاق الذي توصل إليه الطرفان في البيت الأبيض في 13 أيلول / سبتمبر 1993.
4. من كلمة "Diaspora". وتعني أساسًا الشّتات اليهودي بعد الأسر البابلي وتشتّت اليهود قديمًا.
5. رواية للكاتب الفلسطيني مريد البرغوثي صدرت في العام 1997. تعدّ سيرة ذاتية للكاتب، وتمثل رحلة العودة إلى موطنه الأصل فلسطين بعد ثلاثين عامًا، ويحكي فيها رحلة عذاب فلسطين ومعاناة أبنائها.
6. فيكتور هارا (1932 - 1973): شاعر وموسيقار تشيلي، يعدّه التشيليون أحد رموز النضال ضد الديكتاتورية في عهد الانقلاب الدموي للجنرال أوغستو بينوشيه، الذي دبّرته المخابرات المركزية الأميركية.

غنى مونّس: باحثة ومترجمة وأستاذة جامعية من لبنان، تعمل أيضًا في مجال الصّحافة الإلكترونية. تعدّ رسالة ماجستير في الإعلام والتواصل في الجامعة اليسوعيّة في بيروت.
للتواصل عبر الإيميل: ghina.mouaness@gmail.com

متابعات

50 ورقة بحثيَّة في مؤتمر الرياض الدوليّ للأرشفة

اختُتمت أعمال المؤتمر الدولي للمركز الوطني للوثائق والمحفوظات في السعودية، في شهر آذار/ مارس المنصرم، تحت عنوان "دور الأرشيفات العربية في دعم مجتمع المعرفة العربي بين التحديات الحالية والتطلّعات المستقبلية".

وقال مدير عام المركز الوطني للوثائق والمحفوظات في السعودية، فيصل التميمي، إنَّ هذا المؤتمر هو أول مؤتمر دولي للمركز، وستشارك فيه أكثر من خمسين ورقة بحثية وورش عمل ستكون موجّهة إلى المختصين في مجال الأرشفة.

ويستهدف المؤتمر المتخصّصين في مجال الوثائق والأرشيف في القطاعين العام والخاص، والمهتمين بمجال الأرشفة الإلكترونية، وأعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا والمتخصّصين في تقنيات المعلومات والاتصالات، وهو يهدف إلى إبراز دور الأرشيفات في خدمة المجتمع وارتباطها بالنظام الوطني السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ، وتعاون الجهات الحكومية في نقل المعرفة، وتحويل مراكز الوثائق إلى مراكز معلومات، فضلًا عن استثمار وسائل التواصل الاجتماعي لخدمة الأرشيفات والمجتمعات وإتاحتها وتنظيمها وفق المستجدات الحديثة، والتعرف إلى أفضل الممارسات العالمية في مجال الأرشفة والحفظ الرقمي وإمكانية تطبيقها في الأرشيفات العربية.

ومن أبرز محاوره "البرامج الأكاديمية في مجال الأرشيف"، "مدى فاعلية نظم الأرشفة الرقمية في المؤسسات"، "التأهيل الأكاديمي في المجال وملاءمته لسوق العمل"، "دور الأرشيفات العربية في دعم مجتمع المعرفة العربي بين التحديات الحالية والتطلعات المستقبلية"، "التشريعات الأرشيفية واستيعابها للمعايير الدولية"، و"المهدّدات البشرية والطبيعية للأرشيفات".

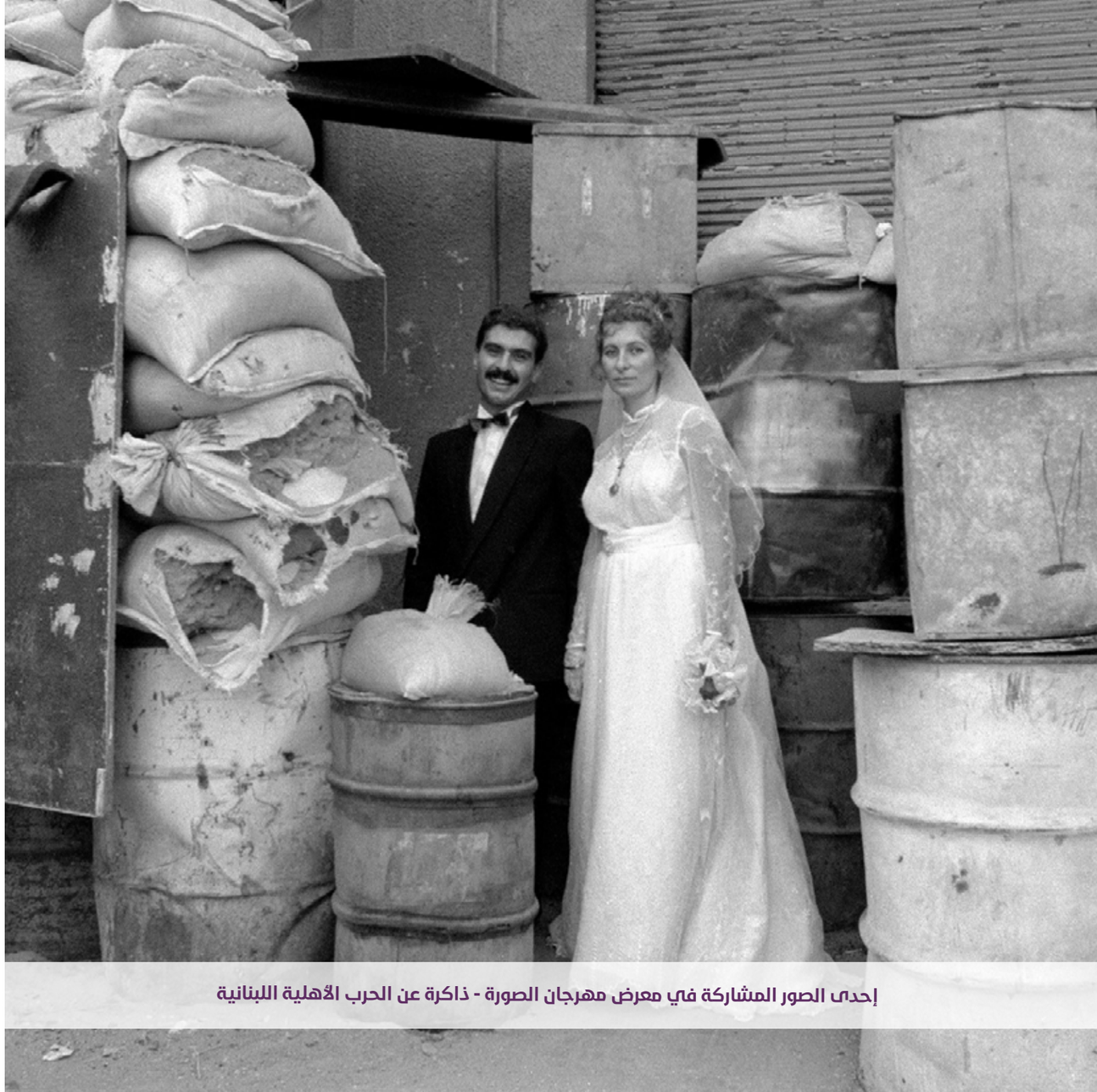

إحدى الصور المشاركة في معرض مهرجان الصورة - ذاكرة عن الحرب الأهلية اللبنانية

ندوةٌ في عُمان حول "المخطوطات العمانية المهاجرة"

بمناسبة يوم المخطوط العربي في نسخته السابعة التي جاءت هذا العام تحت عنوان "المخطوطات المهجرة"، عُقدت في العاصمة العُمانية مسقط ندوة بعنوان "المخطوطات العمانية المهاجرة"، التي نظَّمتها مؤسَّسة "ذاكرة عمان" واللجنة الوطنية العمانية للتربية والثقافة والعلوم.

وقد قُدِّمت في الندوة خمس أوراق علمية خلال جلستين، هي "هجرة المخطوط العماني - كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد أنموذجًا"، "طرق انتقال المخطوطات العمانية إلى الخارج"، "المخطوط اللغوي العماني خارج بيئته - منهج البناء وبصمات التأثير"، "المخطوطات المهاجرة - إشكالية المفهوم والدلالة"، و"نحو خزانة رقمية للمخطوطات العمانية المهاجرة".

وتخلَّلت جلسات الندوة نقاشات ومداخلات علمية ومعرض للمخطوطات العمانية المهاجرة قدَّمته مؤسسة "ذاكرة عمان" ودائرة المخطوطات في وزارة التراث والثقافة.

وتزامنًا مع الاحتفال بيوم المخطوط العربي، دشَّنت مؤسَّسة "ذاكرة عمان" مجلّة "الذاكرة"، وهي مجلَّة فصلية تراثية تُعنى بالتراث الفكريّ العمانيّ.

الإمارات تحتفي باليوم العالميّ للمخطوط

نظَّم مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي ندوة بعنوان "المخطوطات المهجَّرة"، بمناسبة يوم المخطوط العربي. وقد قُدمت في الندوة عدة أوراق بحثية، هي "المخطوطات المهجّرة عبر التاريخ"، "نقل مخطوطات تمبكتو إلى العاصمة باماكو أثناء احتلال المتمردين للمدينة في العام 2012"، "المخطوطات العربية المهجَّرة إلى الهند".

جانب من فعالية المخطوطات المهجّرة في الإمارات

وهدفت الندوة إلى لفت الانتباه إلى أهميّة المخطوط العربي وانتشاره عبر العصور ليصل إلى كلّ أصقاع الأرض، إضافةً إلى أهمية المحافظة على هذه المخطوطات وفهرستها وتوثيقها.

وقال جمعة الماجد خلال كلمته في المناسبة: "إنَّ هذا المركز هو مركز للمخطوطات. وهذا اليوم، يوم المخطوط العربي، على الجميع الاحتفال به، فالمخطوط ملك للبشرية، وهذا المركز وما فيه عون للباحث والعالم. والمخطوط العربي يحتاج اليوم إلى جهود متكاتفة من الأفراد والمؤسَّسات لإنقاذه".

وأشار الماجد في كلمته إلى ما حلَّ بالمخطوطات في بعض الدول التي كان المركز قد صوّر نسخًا منها، وأبدى استعداده لتقديم هذه النسخ لتكون بديلًا من تلك التي فقدت خلال النزاعات.

جامعة القاهرة تحتفي بيوم المخطوط العربيّ

نظَّمت جامعة القاهرة احتفالية يوم المخطوط العربي تحت شعار "المخطوطات المهجّرة". وفي كلمته الافتتاحية، أكَّد الدكتور محمد عثمان الخشت، رئيس الجامعة، ضرورة الاتفاق على الطبيعة النوعية للرسالة الوطنية والقومية التي تحملها هذه الاحتفالية، حين تستدعي أغلى ممتلكات الأمة والمحافظة على ذاكرتها ضد التهميش وطمس التاريخ ومحاولات العبث بمقدراته ووثائقه.

وأضاف: "من حقّ الأمة وواجبها أن تحمي ذاكرتها، وتضمن شرعية بقائها، من خلال قدراتها على إحياء موروثها وتجديده بالبحث والدراسة والتحليل والنقد والمراجعة والمساءلة لعدم النسيان أو التجاهل أو تجريف الذاكرة الوطنية والقومية"، موضحًا جهود جامعة القاهرة في مسيرتها الوطنية من خلال دور مكتبتها المركزية والتراثية في المحافظة على المخطوط العربي وصيانته، في إطار دورها الحضاري ومشروعها الفكري نحو تطوير العقل المصري ونشر التفكير النقدي بين طلابها.

وقال الدكتور فيصل الحفيان، مدير معهد المخطوطات العربية، إنَّ الفكرة الأساسية لانطلاق فعاليات احتفالية يوم المخطوط العربي تحت شعار "المخطوطات المهجّرة"، يشير إلى ما تمرّ به منطقتنا العربية من استحواذ الغرب وسرقاته لمخطوطاتنا العربية منذ مئات السنين، عن طريق الحروب والحملات وتهجير العقل العربي، وذلك لولع الغرب بتراث الشرق من ناحية، ولأن المخطوط العربي يكشف لهم غلبة الماضي بحضارته وثقافته وتفوّقه على الغرب من ناحية أخرى.

وأوضح الدكتور هشام عزمي، رئيس الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، أنَّ هناك حوالى 7 مليون مخطوط عربي موزع على أكثر من عشرين دولة، بين مسروق ومنهوب عن طريق الحروب والحملات، مشيرًا إلى أنّ دار الكتب المصرية تضمّ أكثر من 60 ألف مخطوط، تعمل دار الكتب عل حمايتها وصيانتها، كما نجحت في استعادة العديد من المخطوطات المهجرة.

المخطوطات اليمنيَّة وحماية التراث اليمنيّ

بمناسبة اليوم العالمي للمخطوطات العربيَّة، نظَّمت "مكتبة قطر الوطنية" في الدوحة ندوة بعنوان "المخطوطات اليمنية وحماية التراث اليمني"، شاركت فيها الباحثة الفرنسيّة آن ريغورد، ومديرة مكتب منظّمة الأونيسكو الإقليمي آنا باوليني، والمعماري الألماني توم ليرمان.

وقد عادت ريغورد، خبيرة أوراق البردي والمخطوطات والنقوش في قسم الفنون الإسلامية في "متحف اللوفر"، إلى برنامج الحفاظ على مخطوطات مكتبات مدينة زبيد (غربي اليمن) الذي انطلق في العام 2000، بهدف توثيق هذه المخطوطات وفهرستها وترميمها وحمايتها من الاندثار بسبب الرطوبة أو دودة الأرض، وحفاظًا عليها من التهريب إلى خارج البلاد.

البرنامج الذي كان من المقرّر أن تُنفَّذ على غراره برامج مشابهة لإنقاذ مخطوطات شبام وحضرموت ومدن يمنية أخرى، شمل ثلاث مراحل تمثّلت بفهرسة المخطوطات بمنهجيات علمية وتصويرها رقميًا، ثم البدء بعملية ترميمها، لكن اندلاع الحرب في العام 2015 حال دون استكمال المشروع، كما تعرّضت العديد من المكتبات القديمة للنهب والتدمير.

وفي بحوثها السابقة، تمكّنت ريغورد من تصنيف أنواع مختلفة من الورق المسمّى "أبو شباك"، والذي اقتصر استعماله على مخطوطات اليمن وأثيوبيا، في حين أن نوعًا واحدًا تمّ اكتشافه حتى الآن، ولم يتوصَّل الخبراء إلى الكشف عن جميع علاماته المائية.

من جهتها، صرّحت باوليني العام الماضي بأنَّ الأونيسكو شاركت بالتنسيق مع عسكريين لحماية ما يقارب خمسين موقعًا تاريخيًا، حيث تعرّضت البيوت القديمة في العديد من المدن، من مثل صعدة وصنعاء، للتدمير، إضافة إلى ما لحق بسدّ مأرب من أضرار، حيث

تمّ إطلاق مبادرة في مجال ترميم التراث وصونه تهدف إلى تعزيز التماسك الاجتماعي والقدرة على الصمود من خلال البرامج الثقافية.

أما ليرمان، فتحدَّث عن عمله لما يزيد على 15 عامًا في تطوير المواقع التراثية في اليمن وتأهيلها، مستعرضًا تحديات الحفاظ على المواقع التاريخية، والتي لا يزال العمل فيها جاريًا حتى اليوم، رغم مغادرة معظم البعثات الأثرية الأجنبية البلاد.

الأرشيف الوطني في الإمارات يثري تاريخه الشّفهي بمقابلات جديدة

يواصل الأرشيف الوطني في الإمارات جمع الروايات الشفهية بالمقابلات الَّتي بلغ عددها 913 مقابلة أجراها مختصّون في التاريخ الشفهي بالصّوت والصورة مع رواة من كبار السن. وفي هذا الصّدد، أجرى الأرشيف في الربع الأول من العام الجاري عددًا كبيرًا من المقابلات في أبوظبي والعين.

وقد تنوَّعت المقابلات التي أجراها الأرشيف مؤخرًا مع 13 فردًا من الرواة، تحدثوا فيها عن الحياة التي عاشوها وعاصروها، وما حفلت به في مجال التعليم، والأحداث المجتمعية والاقتصادية وغيرها من العادات والتقاليد والقيم، كما تحدثوا على وجه الخصوص عن الرعي، والمتغيرات التي طرأت على المراعي الطبيعية في إمارة أبو ظبي، وسبل الحفاظ عليها، بما يضمن استدامة موارد التنوع الحيوي.

الحرب الأهلية اللبنانية.. أصوات من الماضي

"أصوات من الماضي - التاريخ الشفهي المسجّل"، هو عنوان المعرض السّمعي البصريّ الّذي احتضنته قاعة "وست هول" في "الجامعة الأميركية في بيروت" في شهر نيسان/ أبريل، تزامنًا مع الذكرى الرابعة والأربعين للحرب الأهلية اللبنانية.

يأتي المعرض في سياق مشروع "من التاريخ المحليّ نحو فهم أوسع للماضي"، ليلقي الضوء على جوانب الحياة اليومية المختلفة للبنانيين خلال الحرب بين الأعوام 1975 و1990، علمًا أنّه من تنظيم "الهيئة اللبنانية للتاريخ" و"منتدى خدمة السلام المدنية".

وقد ضمّ مشاريع بحثية لـ175 طالبًا من ثماني ثانويات رسمية في جبل لبنان، ألقت الضَّوء على الحياة اليوميّة للّبنانيين خلال الحرب الأهليّة. وشكّل هذا العرض التفاعلي تجربة فريدة دعت الجمهور والرواة والتلامذة إلى المشاهدة والإصغاء والتبادل، والمشاركة ومشاهدة صور الرواة، وقراءة الاقتباسات التي اختارها التلامذة من الروايات، والإصغاء إلى مقتطفات من المقابلات، وتبادل الانطباعات والآراء في ما بينهم، ومشاركة حكاياتهم وذكرياتهم الخاصّة.

مكتبة الإسكندرية تطلق مجلة توثيقية بعنوان "ذاكرة العرب"

صفحات ووثائق نادرة مرئية وصوتية عن تراث العرب المجهول والمنسي أصبحت متاحة لملايين العرب حول العالم مع إطلاق مكتبة الإسكندرية للعدد الأول من مجلة "ذاكرة العرب" التي صدرت في كانون الثاني/ يناير 2019، نتاجًا للمشروع التوثيقي الجديد الَّذي تعكف عليه المكتبة ليكون ذاكرة حية للوطن العربي.

يقول رئيس تحرير مجلة "ذاكرة العرب" الدكتور خالد عزب، رئيس قطاع المشروعات المركزية في مكتبة الإسكندرية، إن مشروع ذاكرة الوطن العربي سوف يصدر المزيد من المطبوعات والكتب والأوراق البحثية لرفد الباحثين بمواد أكاديمية، في حين تأخذ مجلة "ذاكرة العرب" طابعًا تثقيفيًا وتوعويًا جماهيريًا عبر استكتاب نخبة من المؤرخين والباحثين المتخصّصين في الحضارة العربية وتاريخها من كل أنحاء العالم العربي.

وأكّد عزب في تصريحات صحافية أنّ المجلة تسعى إلى إحداث زخم حول كل ما هو مهمل أو غير متداول من تراثنا، من مثل تراث السقاية في الجزائر، وتراث الخيل العربي الذي كان جزءًا من ثقافة المواطن العربي والآن بات محصورًا بين النخبة فقط، والطوابع البريدية الصومالية، وتراث الأزياء العربية، وبدايات الصور الفوتوغرافية في الشام، والتراث الشفهي العربي، وبخاصة الحكاية الفلسطينية، في ظل تراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية.

في اليوم العالمي للتراث.. 7 آلاف مبنى ضمن أرشيف التراث العمراني المصري

عقد الجهاز القومي للتنسيق الحضاري في مصر منتدى التراث الثاني بعنوان "التراث – الاستثمار – الاستدامة"، وذلك بمناسبة اليوم العالي للتراث في 18 نيسان/ أبريل من كلّ عام. وتعتبر أهمّ أهداف المنتدى الإشارة إلى دور الجهاز في الحفاظ على التراث العمراني والمعماري المادي واللامادي، وشرح دور الجهاز في الحفاظ على هذا المخزون.

وشارك في المنتدى د. نزار حسن، مدير المشروعات والدعم التكنولوجي في منظمة الأونيسكو، التي تعد شريكاً وداعماً في كل مشروعات التطوير والحفاظ على التراث العمراني والثقافي.

وتخلّل المنتدى استعراض تجارب مجتمعية وفردية للحفاظ على التراث في ثلاث جلسات بحثية، تناولت الجلسة الأولى تطبيقات رائدة في الحفاظ على التراث، من خلال المجتمع المدني والقطاع الخاص، فيما تطرَّقت الجلسة الثانية إلى المردود الاجتماعي للحفاظ على التراث، إلى جانب المردود السياحي والمردود الاقتصادي لاستثمار التراث. وكانت الجلسة الثالثة تتمحور حول استدامة التراث، من خلال الرصد والتواصل، إلى جانب استدامة الأصول العقارية.

الحرب الأهلية اللبنانية.. أصوات من الماضي

ذاكرة الصّورة في الحرب الأهليّة اللبنانية

نظّمت جمعية "مهرجان الصورة - ذاكرة" في شهر نيسان/ أبريل معرضاً تكريمياً لمصوّرين صحافيين لبنانيين غطّوا يوميات الحرب الأهلية اللبنانية بين العام 1975 والعام 1990، من أجل إحياء ذاكرة الصورة الفوتوغرافية في الحرب، والتي أدت دوراً إعلامياً مهماً في تجسيد آلام الناس والفظائع التي جرت.

وقد جمع هذا المعرض صوراً تغطي محطّات من الحرب الأهلية، تجسّد علاقة الصورة بالحرب كمؤرخ لها، وتبقى ناقلاً صادقاً ليوميات الناس على جانبي خطوط التماس. يذكر أن بعض تلك الصّور نُبش من صناديق الأرشيف المظلمة، فليست كل الصور هي التي تعيش، إنما ما بقي منها في الذاكرة الإنسانية.

توثيق رقميّ لأندر المخطوطات العربيّة والسريانيّة الكنسيّة في مصر

صوّر فريق يونانيّ في شهر نيسان/ أبريل آلاف المخطوطات الهشّة التي تضمّ بعض أقدم النسخ من الأناجيل المسيحية المحفوظة في دير القديسة كاثرين عند سفح جبل سيناء في مصر، بهدف إنشاء الأرشيف الرقمي الأول لكل المخطوطات داخل المكتبة، والبالغ عددها 4500، بدءًا من المخطوطات العربية والسريانية، البالغ عددها 1100، والتي تعتبر نادرة بشكل خاص.

وكانت المكتبة الرقمية للمخطوطات القديمة هي المنظّمة المنفّذة التي بدأت المشروع العام الفائت، بتعاون مع الدير ومكتبة جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس. وأعلنت مكتبة الجامعة نيّتها نشر المخطوطات على الإنترنت بدءًا من خريف العام 2019.

وقال مدير المكتبة الرقمية للمخطوطات القديمة مايكل فيلبس: "هذه المكتبة هي أرشيف تاريخ المسيحية وجيرانها في العالم المتوسطي. ولهذا، فهي تهمّ كلّ المجتمعات من حول العالم التي تجد تاريخها هنا".

وكانت مكتبة الكونغرس الأميركية قد قامت بتصوير هذه المخطوطات قبل عقود. وبحسب منظّمي المشروع، فإنّ المؤسّستين ستوفّران سجلاتهما للحفظ الرقميّ الجديد.

مشروع "الحكايات الشعبية البحرينية"... إنعاش للذاكرة الجماعيَّة

احتفت البحرين في شهر شباط/ فبراير بتدشين موسوعة "الحكايات الشعبية البحرينية: ألف حكاية وحكاية"، وهي أكبر مجموع حكائي شعبي يتم إنجازه في العالم العربي، وأوَّل مسح ميداني للحكايات الشعبية البحرينية.

وجرى حفل التدشين في جامعة البحرين؛ الصرح الأكاديمي الذي نهض بمهمة إجراء عملية المسح والتدوين، حيث عمل 100 طالب وطالبة بإشراف الدكتورة ضياء الكعبي، لإجراء عمليات مسح وتدوين وتحقيق الحكايات الشعبية من 1200 راوٍ وراوية يتوزعون بين قرى البحرين ومدنها، تتراوح أعمارهم بين 50 و82 سنة.

وجاء الكتاب في خمسة مجلّدات يضم 1650 صفحة، وتم تنفيذ المشروع بتعاون مشترك بين كلية الآداب في جامعة البحرين، والمنظمة الدولية للفن الشعبي، والثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر.

وقد وصفت الدكتورة ضياء الكعبي هذه الفكرة بأنها "الشرارة الأولى لإجراء تدوين متّسع للحكايات الشعبية البحرينية، وهو تدوينٌ قائمٌ على مسح ميداني يضمّ مختلف مدن البحرين وقراها".

وتميّز إنجاز هذا المشروع بتغطية شاملة للرقعة الجغرافية البحرينية، ولأول مرة بتعدّد كبير للرواة، وباختلاف المناطق، وتعدد اللهجات، إلى جانب تحقيق المرويات وتدوينها وتقريب النصوص لبعضها وفرز ما هو متكرّر أو ضعيف منها، مع الإصرار على أن تكون النصوص بلهجة راويها، تحقيقًا للشروط العلمية التي يقتضيها الجمع الميداني للمادة الشّفهية.

أرشيفو

ARCHIVO

نشرة تهتم بموضوعات الأرشيف تصدر عن
مركز أوال للدراسات والتوثيق

مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION

info@awalcentre.com | www.awalcentre.com

awalcentre

ISSN 2414 - 5386
9 772414 538004 >